العنوان: متسلمية نابلس فى العهد المصرى 1247 - 1256 هـ = 1831 - 1840 م.
المؤلف الرئيسي: سعادة، علاء كامل عبدالجابر
مؤلفين آخرين: الطراونة، محمد سالم غثيان(مشرف)
التاريخ الميلادي: 2007
موقع: الكرك
الصفحات: 1 - 364
رقم MD: 786599
نوع المحتوى: رسائل جامعية
الدرجة العلمية: رسالة ماجستير
الجامعة: جامعة مؤتة
الكلية: عمادة الدراسات العليا
الدولة: الاردن
قواعد المعلومات: Dissertations
مواضيع: التاريخ المصرى، مدينة نابلس، الاثار التاريخية، السلطات الحاكمة
رابط: http://search.mandumah.com/Record/786599

الفصل الخامس

الحياة الإجتماعية والدينية

إن طبيعة الحياة الاجتماعية داخل الدولة، ومدى ترابطها وانسجامها لهو دليل قوة وتماسك وتعاضد لا دليل ضعف أو وهن إذ إن التواصل بين الدولة ورعاياها ضرورة ملحة لتحقيق الأمن الاجتماعي والرخاء والحرية الوطنية التي تجعل من الدولة مرآة ينظر لها الرعايا لملاحظة انعكاسها عليهم.

لقد حضنت نابلس كغيرها من المدن الشامية والفلسطينية عدة طوائف دينية(مسلمين، وسامريين، ومسيحيين)، وكان ابناء المدينة من شتى الطوائف والطبقات يعيشون حياة التكامل والترابط والتآخي والتحاب فقد انصهروا جميعاً في ولائهم لمدينتهم، لدرجة انه كان يصعب على الزائر التمييز بين السامري والمسلم النابلسي، وهذا يدل على وحدة العمل والفكر والتعاون الذي طُبق تطبيقاً ملموساً في المدينة. فعلى الرغم من وجود عدة طبقات في المجتمع النابلسي، ووضوح التفاوت في البنية والتركيبة الاجتماعية بين أبناء المدينة فهناك شيخ القرية، والفلاح والغني والفقير والتاجر والحرفي، إلا أن العامل المالي والطبقي كان يتلاشى بصورة سريعة كضباب الفجر عندما تتعرض المدينة إلى ضيق أو محنة فقد كان الشيخ والفلاح مع الغني والفقير والعامل الحرفي إلى جانب التاجر في الثورة التي قادها شيوخ نابلس ضد الحكم المصري، وذلك لما لحق بالجميع من ضرر سواء نتيجة لقرار التجنيد الإجباري الذي نادى به محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا في المدن، والبلاد الشامية أو نتيجة كثرة الضرائب، وتحجيم نفوذ العائلات في الدولة.

لقد جمعت الاُلفة واللباقة الاجتماعية قلوب السكان حتى ظهر لمدينة نابلس عادات وتقاليد اختصت بها دون غيرها من المدن والبلاد الشامية، سواء في الأفراح والأعياد أو الأتراح أو اللهجة، أو في المأكل والمناسبات الدينية وغيرها مما صبغ المدينة بطابع التخصص في أصناف محددة من العادات والتقاليد نسبت لمدينة نابلس كالكنافة النابلسية، والزفة النابلسية، واللهجة النابلسية وغيرها مما عرف عن النابلسيين.

5. 1 البنية الاجتماعية

من التغييرات الاجتماعية التي نشأت نتيجة حكم محمد علي في بلاد الشام إطلاق الحرية الدينية، ونشر روح الديمقراطية بالضرب على أيدي الزعماء والمتغلبين، ونزع السلطة من أيديهم، وإنشاء العلاقة ما بين أفراد الشعب وحكامه مباشرة وتأليف مجالس المشورة التي تمثل الشعب بعض التمثيل فقد كان لها حق النظر في الشؤون المحلية، بعد أن كان النظر في جميع الشؤون منوطاً بحكام مستبدين، وقد كان لوجود إبراهيم باشا في بلاد الشام تأثير في بساطة المظهر، بعد أن كان كبار رجال البلاد يتباهون بالملابس الفاخرة والمظاهر الخلابة وكثرة الأتباع وإنما كانوا يقلدون في ذلك الحكام العثمانيين، أما إبراهيم باشا فكان ميالا بفطرته إلى بساطة المظهر والتخشن في المعيشة ولعل حياة الجندية زادته استمساكاً بذلك لان أحوال الجندية تقتضي التخشن وملابس رجالها بسيطة متماثلة لا تمييز فيها بين ملابس كبار الضباط وصغارهم في الرتبة إلا بما عليها من العلامات الفارقة([1]).

وكان من نتائج النزاع الذي نشب بين مصر والباب العالي أن شعر محمد علي بأهمية العنصر العربي، وبوجوب التودد إليه، والاتكال عليه؛ فخرج من تقاليد الإدارة في مصر، ووافق على ترقية أولاد العرب البارزين في القراءة والكتابة إلى رتبة يوزباشي، وذهب إبراهيم باشا إلى أبعد من هذا فأكد لوالده بان نسبة المخلصين من العرب الملتحقين بالخدمة كانت أعلى من نسبة المخلصين من زملائهم الأتراك، وحبذ إفساح المجال لترقية بعض العرب إلى رتبة بكباشي، ونوه بفضل العرب على المدنيِّة في التاريخ، وقال في ظروف معينة إنه أتى إلى مصر طفلاً وأن شمسها غيرت دمه فجرى عربياً([2]).

ومما ألف قلوب سكان البلاد في عهد محمد علي باشا، وساعد على توحيدها أنه فرق في سياسته الداخلية بين وطني آمن، وبين أجنبي طامع فشمل الأول بعطفه وحذر بطش الآخر، فقد كان يؤثر الوطني على الأجنبي في الحصول على امتيازات العمل والتطور([3]).

([1]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص311- 312
([2]) عدنان جراد، الحكم المصري في سورية، ص84
([3]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم1، ص100- 101

وعملت الإدارة المصرية على كسر النفوذ الإقطاعي الذي مثلت صـــورته الطبقة المتحكمة، ودخل بعض المشايخ فيها، فتمكنت من درء خطرهم، وحررت من وقع تحت استبدادهم، وأصبح الخضوع للدولة بشكل رسـمي دون الرجـوع إلـى زعامات أو متنفذين أي أصبحت الدولة رأس الحكم والتنفيـذ([1])، وكتـب(بورفيـل) قنصل فرنسا في حلب سنة1836م قائلاً:(إن المجهود الذي يبذلـه إبـراهيم ليعـزز مركزه في سوريا لهو مجهود لا يعرف التعب إليه سبيلا وهو يظهر حزمـا عجيبـا وإذا حدثته اظهر عطفه الكبير على الأهالي وهو يود من صميم فؤاده نشر المدنيـة بينهم)([2]).

وزاد في لحمة الإدارة المصرية مع سكان بلاد الشام أن محمد علي وافـق على طلب إبراهيم باشا(تزويج الضباط من رتبة ملازم حتى رتبة يوزباشي من بنات البلدان المحتلة لترغيبهم في الاقامة في هذه البلدان ويوجب على الضباط الآخـرين من أصحاب الرتب العالية ان يتأهلوا في مصر)([3])، وقد وجدت المرأة فيه خلاصها من الضغوط التي فرضت عليها، فأصبحت تقدم الشكاوى وهي على يقـين مـن أن الإنصاف سيكون من نصيبها، فيرى أن زوجة تعرض حالها بأن زوجهـا وأقاربـه طامعون فيما ورثته من أموال عن والدها، ويطالبونها بالتنازل عن نصف ما تمتلكه، فتسبغ الحماية عليها وتبلغ المسؤول بأن(يمنع تعرض زوجها وأهله عن رزقها)([4])، وفي مراسلة لإبراهيم باشا إلى محمد علي باشا يحبذ فيهـا(اسـتعطاف النابلـسيين واستمالتهم لسببين رئسين أولهما شجاعة هؤلاء القوم وسرعة حـركتهم وتمـسكهم بالدين الحنيف والثاني الفائدة المعنوية التي تعود على السلطات المصرية)([5]).

لم يكن في فلسطين نظام طبقات كالذي وجد في أوروبا والهند بالشكل الذي يفصل كل طبقة عن الأخرى بحاجز اجتماعي اقتصادي واضح، إنما كان المتـوافر

([1]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص70

([2]) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص146

([3]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م3، وثيقة4488، عابدين دفتر212 رقم246، 8 ذي الحجة1251هـ/ 26 آذار 1836م، ص101

([4]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص231

([5]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م4، وثيقة6355، عابدين محفظة259 رقم186، 28 ربيع الثاني1256هـ/ 26 آب 1840م، ص396

في هذا المجال هو عبارة عن امتيازات أشراف النسب في نقابة الأشراف، فأشراف السيف أي الأمراء والشيوخ لم يكن لهم ما يميزهم عن الشعب إلا ما يميز الغني عن الفقير في اللباس ووجود الخدم، ولم تكن علاقة أغنياء نابلس بفقرائها قائمة على التعالي والتكبر فقد كان أمراء نابلس متواضعين ورعين، ولم يكونوا متعالين متكبرين([1]).

وحتى بدايات ق19م لم يكن هناك تواجدٌ ملحوظٌ للأوروبيين في فلسطين، وكان وجودهم في الساحل والقدس، أما في نابلس وباقي المدن الداخلية فلم يشعر السكان قبل نهاية الحكم العثماني بتأثير الغرب، وهكذا فإن قيادات المدينة وباقي السكان لم يقابلوا الأوروبيين إلا صدفة؛ لذا لم يتأثر سكان نابلس بالعادات الغربية والأفكار الأوروبية التي سادت في ذلك العصر بخلاف ما حصل في القدس أو دمشق مثلاً بعد سنة1838م انتشرت في تلك المدن الجمعيات التبشيرية المسيحية وتواجد بها القناصل الأجانب، ويضاف الى ذلك أن غير المسلمين لم يشكلوا في نابلس إلا قلة قليلة من السكان([2]).

تضم البنية البشرية في مدينة نابلس خليطاً متعدد الأعراق بحيث تتكون هذه البنية من أخلاط من العرب والعجم والسامرة([3])، وتعود أصول العرب في نابلس إلى القبائل العربية التي هاجرت من جنوب الجزيرة إلى شمالها عبر فترات مختلفة من التاريخ قبل الإسلام وأثناء حركة الفتح الإسلامي وما بعدها، ومن القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه المدينة في بداية الفتح الإسلامي: بنو غانم وهم من العشائر الخزرجية التي استقرت في فلسطين وترجع في نسبها إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي (ت14هـ/635م)، وقد أقام هؤلاء في قرية بورين من قرى نابلس. كما هاجر إلى نابلس وأقام فيها جماعات من قبيلة قحطان، وطائفة من مضر بن نزار. أما القبائل اللخمية فقد نزلت في المنطقة الممتدة بين الرملة إلى نابلس والبحر الميت والجولان وما يليها من أرض حوران، وكان يخالطهم قبائل جهينة، وذبيان، والقين، وهاجر قسم من قبيلة قضاعة إلى نابلس، وإليهم انتسب بنو قدامة الذين

([1]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص461

([2]) محمود يزبك، بلدية نابلس في العهد العثماني، ص46- 47

([3]) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص85؛ انظر احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص43

سكنوا جماعين وجوارها من قرى نابلس، وهاجر قسم منهم إلى دمشق فـــي فتـــرة الحروب مع الفرنجة، وقد استقرت هذه القبائل في منطقة نابلس، وتحضرت بمرور الوقت حتى نسيت فيها هذه القبائل وممارستها البداوة من ترحال وتنقل، واتجهت إلى حياة الاستقرار والزراعة([1]). فقد أرسل إبراهيم باشا بعضاً من البدو في نابلس إلـــى الإسكندرية لاستخدامهم في الجيش والأسطول([2]).

وبناءً على ما تقدم فان البنية الاجتماعية التي كانت غالبة وسائدة في مدينة نابلس بشكل رئيسي تقع في فئتين هما: سكان المدينة، وسكان القرى مع ما يتخلـــل سكان المدينة والقرية من أخلاط وطبقات بدءاً من الغني والفقير والتاجر والحرفـــي، وكذلك في القرية بين شيخ القرية والفلاح الكادح وراء قوت يومه. لذا تمتع ســـكان نابلس بمدنيِّة وتحضُّر في أعمالهم ومعاملاتهم مع بعضهم بعـــضاً، وذلـــك نتيجـــة التقارب والمتاجرة مع المدن الفلسطينية والشامية بمختلف أشكال التجارة، بالإضـــافة إلى أن شيوخ مدينة نابلس شغلوا منصب المتسلم في القدس وجنين مما أضفى علـــى المدينة نوعا من التمازج مع سكان المدن المجاورة، فانعكس أثره في الاطلاع على ثقافة وبنية هذه المجتمعات فالأفراد في المدينة كان نشاطهم غير منحصر في عمـــل واحد، فهناك الحداد، والنجار، والبناء، واللحام، والتاجر، وبائع العطـــور، وصـــائغ الذهب والمجوهرات، وبائع الحلويات....إلخ. أما الأفـــراد فـــي القريـــة والريـــف فانحصرت أعمالهم في القطاع الزراعي بشقيه: النباتي بمختلف أنـــواع الزراعـــة، والحيواني بتعدد أنواع المواشي والحيوانات، إلا أن سكان نابلس قد نالوا من المركز والمكانة في الإدارة والحكومة المصرية ما لم يلقه الفلاح المنشغل في أرضه وقوت يومه([3]).

تناول كل من إحسان النمر في (تاريخ جبل نابلس والبلقاء)، ونبال خمـــاش في (تراجم مدينة نابلس وريفها في 900عام)، ومصطفى الدباغ في (بلادنا فلسطين)

([1]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص87

([2]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص221- 222

([3]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص521- 522؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص103- 107؛ انظر أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر، ص151- 156

أسماء أهم العائلات المؤثرة والمتنفذة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدينة نابلس، وارتأت الدراسة ذكر بعض هذه العائلات على سبيل التوضيح والذكر والمعرفة التاريخية لا الحصر، إذ أن لكل عائلة في نابلس باع طويل وجذور ضربت في أعماق الأرض، ومكانة وامتداد وفروع متصلة إلى يومنا هذا، ومن هذه العائلات([1]):

آل طوقان: عرف منهم موسى بك طوقان الذي تولى متسلمية نابلس وجنين سنة1225هـ/ 1810م، واسعد بك طوقان الذي نجح في المهمة التي طلبها منه أحمد باشا الجزار في إقناع الأمير يوسف بن الأمير ملحم الشهابي بتولي حكم لبنان بشرط تعهده تقديم الأموال المطلوبة للجزار وقدرها100 قرش([2]).

آل عبد الهادي: نسبة للشيخ عبد الهادي وولده حسين عبد الهادي، فقد ثبتت عائلة عبد الهادي نفوذها بالحكم المصري، فقد تولى الشيخ حسين عبد الهادي ولاية صيدا([3]) بالإضافة إلى ذلك فقد عين عدد من إخوته وأولاده حُكّاماً على غزة ويافا وجنين وغيرها، إذ تولى شقيق حسين عبد الهادي الشيخ محمود ولاية يافا وتولى ابنه سليمان ولاية جنين وقد توفي الشيخ حسين عبد الهادي في عكا سنة1253هـ/ 1837م([4]).

آل القاسم: كبير هذه العائلة هو الشيخ قاسم الأحمد، وهو من مشايخ جبل نابلس المعروفين في ق19م، وقد عهد له بمتسلمية القدس وعُهد إلى ابنه محمد القاسم الأحمد بمتسلمية نابلس وجنين وكذلك القدس([5]).

([1]) انطلاقاً من ان غاية الدراسة وهي الوقوف على اسماء العائلات ذات التأثير الواضح في تاريخ متسلمية نابلس في فترة الحكم المصري (1247- 1256هـ/ 1831- 1840م)، فقد رأت الدراسة عدم الولوج في تراجم وانساب العائلات وتحقيقها من حيث فروعها وامتدادها، وذلك منعاً للإطالة والاتجاه في منحا أخر. فالدراسة لم تُعد لطرق باب العائلات؛ انظر إلى أصحاب الأنساب في نابلس بالتفصيل عند إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص163- 173.

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص158- 162؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص124- 127

([3]) محكمة نابلس الشرعية، سجل9، 11 جمادى الآخرة1250هـ/ 17 آب 1834م، ص144

([4]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص117- 118؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص247- 249

([5]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص124؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص249- 250

آل النمر: نزل آل النمر في القدس لأهميتها، ومنهم الحاج علي الجربجـي، ونجلـه عمر آغا، ومن ثم نزل فيها عمر آغا وولده مصطفى آغا، وبعد موتهما نزل فيهـا إبراهيم آغا وولده محمد آغا، وبقي في نابلس قاسم آغا حفيد عمر آغا ومنهم أيـضا قاسم آغا النمر([1])، وأحمد آغا النمر الذي أنزل إبراهيم باشا المصري في قصره بعد انتهاء ثورة نابلس، ودخل ابنه الأكبر عبد الفتاح آغا في جيش إبراهيم باشا ورُقِّـيَ إلى ميرألاي([2]).

آل الجرار: وبرز من آل الجرار في فترة المتسلمية الشيخ عبد الله الجرار الذي اتخذ موقف الحياد إبان دخول إبراهيم باشا فلسطين، إلا انه ثار على الحكومة المـصرية مع أهل البلاد سنة1250هـ/1834م فكان الشيخ عبد الله الجرار أحد زعماء الثورة التي قامت في جبل نابلس بوجه إبراهيم باشا، وقد دفع حياته ثمناً لذلك([3]).

آل البرقاوي: ومن زعمائهم الشيخ عيسى البرقاوي، فقد عُـيِّن شـيخاً فـي وادي الشعير([4]).

وقعت عدة نزاعات محلية بين هذه العائلات نتيجة التنـافس علـى تـولي المناصب الإدارية العليا في المتسلمية، فقد تنازعت العائلات النابلسية: آل طوقـان وعبد الهادي والقاسم والجرار والبرقاوي، مما سـهل علـى الحكومـة المـصرية السيطرة بقوة على نابلس، وقد أشارت سجلات محكمة نابلس الـشرعية إلـى هـذه الخلافات والنزاعات، والى تدخل الإدارة المصرية لحل تلـك الخلافـات وإجـراء المصالحة بينهم، وهذا نص المرسوم: (افتخار المشايخ المكرمين الشيخ محمد الحاج احمد والشيخ احمد اليوسف وقاسم آغا الداوود والجرار زيد قدرهم المنهـي الـيكم لتاريخه صار معلومكم صدور الأوامر الشريفية الصادره من جانب سـعادة مـشير أوردي عربستان ومن سعادة مشير ايالة صيدا وطرابلس حـالا بـاجرا[بـإجراء] المصالحة فيما بينكم وبين عائلة بيت عبد الهادي ومشايخ ووجوه نـواحي وقرايـا

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص123

([2]) المرجع نفسه، ص259

([3]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص120؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص525

([4]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص122

سنجق نابلس وجنين وبمقتضى الأوامر الكريمة الصادره قد جرة المصالحة فيما بينكم وحصل المصافاه 12 شعبان 1262هـ

محمد لوه[لواء] عساكر سواري اهالي)([1]).

لقد أضعفت الخلافات والتنافس على الحكم صف هذه العائلات أمام الإدارة المصرية فكان نتيجة ذلك أن بدأت الحكومة المصرية باستغلال تلك النزاعات، فسحبت منهم الامتيازات شيئاً فشيئاً حتى فقدوا أكثر هذه المناصب([2]).

ومن العائلات النابلسية عائلة الحاج محمد الذين قدموا من قرية بيتا ونزلوا نابلس قبل دخول إبراهيم باشا لفلسطين، وقد ظهر منهم الحاج محمد الذي لمع نجمه فقد تولى السيادة على مشاريق البيتاوي، ثم نزل أولاده وأحفاده القرى([3])، ومن العائلات النابلسية أيضاً آل مسمار ولهم أقارب في السلط وبيسان والكرك، ويقال أنهم من بني عطية، ومن عائلات نابلس آل عاشور سكان الحي الغربي من نابلس، وهم من حمولة الفقهاء في قرية سنجل، ولهم فرع في حوران ويعرفون بآل جاسم ويجمعهم اسم العوامرة، وهم ينتمون إلى بني حسن أما عائلة عاشور الشرقي فيقال لهم عاشور أبي طاحون([4]).

ومن عائلات نابلس آل البسطامي وهم أقرب ما يكونون لأبناء صادق أفندي البسطامي([5])، وآل الطيباوي بنابلس وهم ذرية الشيخ محمد الطيبي حرف نسبهم إلى طيباوي وهو نسبة إلى طيبه ابن علوان لا إلى طيبة طولكرم، وآل مريش وهم من أشراف آل البيت في نابلس وكبيرهم في زمن إبراهيم باشا هو الحاج قاسم مريش الذي اصطحبه معه إلى عكا والشمال. وآل مرواد وهم من تجار نابلس القدماء ويعرفون اليوم باسم (الدَدُه والعريض والطشطوش)([6]).

([1]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 12 شعبان1262هـ/ 5 آب 1846م، ص269

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص247- 250؛ انظر أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر، ص168- 172

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص322

([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، 558

([5]) المرجع نفسه، ص554

([6]) المرجع نفسه، ص560- 561

اشتهر سكان جبل نابلس بضخامة الأجسام وقوتها وجمالها مع الهيبة؛ فكان رجالها موضع إعجاب رجال الدولة العثمانية والسلاطين والوزراء والقواد والولاة، فقد كانت جسامة موسى آغا النمر وقوته أهم عامل في نجاح مهمته عند السلطان العثماني محمود الثاني، وكان أسعد بك طوقان موضع دهشة رجال ولاية دمشق، فقد اختار السلاطين حرسهم من جنود نابلس، ولما زار السلطان عبد العزيز العثماني عواصم أوروبا كانوا معه فدهشت جسامتهم أهل باريس فسألوه عنهم فقال:(هم رجال عربستان وكلهم مثلهم)([1]).

اهتم إبراهيم باشا بعد فتحه لبلاد الشام بالشؤون الصحية فيها وأولاها عنايته ورعايته، فالمعروف أن إبراهيم عندما فتح بلاد الشام كان قد أحضر معه (كلوت بك) ناظر الشؤون الصحية في مصر، وعمل كلوت على إنشاء عدد من المستشفيات النقالة في عكا وصيدا ودمشق وحلب، وفي غيرها من مدن فلسطين كما ألحق بفرق الجيش عدداً كبيراً من مستشفياته النقالة، وتنقل كلوت في البلاد لمراقبة شؤونها الصحية، وكان يثقف السكان بأنواع الأمراض التي تنتشر في ذلك الوقت، وبين لهم أسباب انتشارها في المناطق([2]).

5. 2 ثورة نابلس 1250هـ/ 1834م

لقد وجدت بلاد الشام ومدنها بقدوم إبراهيم باشا والحكم المصري أملاً ونهجاً نحو التغيير والتطور، إذ أعلن محمد علي باشا أن الغاية من الحملة على بلاد الشام هو إقرار الأمن، وتامين الطرق والمواصلات، وتخفيف الضرائب التي كانت بيد الأقوياء والمتنفذين الذين كانوا يقرونها ويرفعون قيمتها، ويقومون بجبايتها كما يحلو لهم دون ضابط أو رقيب مما ولد النفور الشعبي نتيجة الوضع الحالي القائم، فوجدوا في محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا خلاصاً من واقع غلبت عليه القسوة وسطوة الأمراء والمتنفذين، فكان محمد علي هو معقد الآمال.

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص70- 71
([2]) عدنان جراد، الحكم المصري في سورية، ص90

كان السكان في بلاد الشام قد وجدوا مع بداية حكم محمد علي نوعـاً مـن الارتياح السياسي والاقتصادي والأمني بعد نجاح الحملة المصرية على بلاد الـشام، ثم ما لبثت المدن والجبال تئن تحت وطأة الضرائب المتنوعـة والمتزايـدة؛ فأخـذ السكان يطالبون بالحقوق وعدم إرهاقهم بالأموال الـضرائبية، واضـطروا للقيـام بثورات دموية لتحقيق ما أملوا في انجازه، إلا أن توراتهم غلبت عليهـا العـشوائية والافتقار الى الوحدة في العمل. فقد ثارت كل مدينة على حـدة دون التنـسيق مـع بعضها البعض فكان ذلك عامل ترجيح لكفة إبراهيم باشا في تحقيق الانتصار، وقمع الثورات التي قامت في أغلب مدن بلاد الشام.

أما بالنسبة للثورة التي قامت في متسلمية نابلس فإنها كانت امتداداً لثـورة القدس ويافا وغيرها من مدن فلسطين، إذ تجمعت عدة أسباب وظروف دعت إلـى قيامها، والتي يمكن إجمالها في أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة.

الأسباب غير المباشرة:

1- التجنيد الإجباري([1]): طلب إبراهيم باشا من كافة البلاد الخاضعة له شـباناً ليجعلهم في الجندية، وقد دفع له سكان نابلس والقدس والخليـل مـن500- 5000 غرش عن كل شاب مطلوب للجندية، ولما لم يستطيعوا أن يثنوا عزمه رفعوا القناع عن استيائهم وأعلنوا جميعهم الثورة موطدين النية على أن يموتوا وأولادهم قبـل ان يسلموا شاباً واحداً([2])، وذلك لان التجنيد أمر لم يألفه أهل الشام([3])، والنابلسيون كانوا ينفرون من التجنيد أشد النفور على الرغم من أنهم ألفوا الحروب، فالحروب التـي كانوا يشتركون فيها قبلاً كانت تقع في داخل البلاد، وكان الجندي لا يغيب عن أهله وبلدته إلا أياما معدودات، وكان يسير إلى الحرب مع إخوانه ومواطنيه جنبـاً إلـى جنب تحت راية زعيم يعطف عليه وتجمعه به المبادئ والمصلحة والوطن([4]).

لكن التجنيد الإجباري للجيش المصري كان أمراً مختلفاً فـلا هـو لمـدة معلومة، ولا هو لأهداف يتعاطف معها سكان البلاد، إذ يتم إرسـالهم بعيـداً عـن

([1]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص121
([2]) بولس قرألي، فتوحات إبراهيم باشا، وثيقة31، صيدا 25 حزيران1834م، ص43- 44
([3]) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص125
([4]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص162- 163

أوطانهم، وكان محمد علي قد اتخذ القرار بتجنيد السكان كما فعل سابقاً في مـــصر منذ سنة1832م لكن استمرار الحرب مع السكان والخوف من ثورتهم ومن زعمائهم أدى إلى تأجيل تنفيذ هذه الخطوة. وفي بداية سنة1834م، وبعد استتباب أمور الحكم والإدارة أصدر محمد علي أوامره إلى نجله إبراهيم باشا بتجنيـــد15 ألـــف شـــاب للجندية من بلاد الشام، وقد خص أنحاء فلسطين بأكثر من6 آلاف شاب معظمهم من ألوية نابلس، والقدس فكان ذلك سبباً لإعلان العصيان والثورة سنة1834م([1]).

واجتمعت الآراء على أن التجنيد الإجباري كان أكبر العقبات التي صادفت الحكم المصري في الشام، وقد أقدم عليه الحكم المصري لـــسد متطلبـــات التكـــوين العسكري في ظروف ملحّة جعلت الانضمام لصفوف الجيش أمراً حتمياً، فحـــررت الأوراق الخاصة بالمجندين لإرسالها إلى المدن والنواحي، ومنها: دمـــشق وحلـــب ونابلس وجبل الدروز([2]). وكادت الدولة أن تستخدم الحيلة والخديعة للوصـــول الـــى أبناء القرى الذين كانوا يفرون الى الجبال، إذ أرسل إبراهيم باشا إلى محمـــد علـــي باشا يخبره(ان التجنيد في المدن امراً هين ولكن التجنيد في قرى الخليـــل والقـــدس ونابلس شاق للغاية لان الفلاحين يفرون من وجه السلطة ويعتصمون بالجبال لذا فانه يُرى ان يستغويهم بيعلن ان السلطة تنوي فتح ترعة في يافه ولـــدى نـــزولهم اليهـــا يقبض عليهم وينتقي منهم من يراه صالحا في الخدمة العسكرية)([3]).

بيَّن إبراهيم باشا(ما يعترضه من صعوبات في تجنيد الشبان فـــي جبـــال نابلس والقدس والخليل ويفيد ان جمعهم في الورش العمومية كورشة جلب المياه إلى يافه وورشه التعمير في عكا ومفاجئتهم في اثناء العمل والقاء القبض عليهم)([4]). أي إن إبراهيم باشا كاد أن يلجأ إلى الخديعة، والمكر للحصول على المجندين الذين فروا الى الجبال أو استطاعوا التنصل من أوامر الإلتحاق بالجندية.

([1]) عادل مناع، تاريخ فلسطين، ص142؛ انظر نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص124

([2]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص287- 288

([3]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3708، عابدين محفظة249 رقم316، 22 جمادى الأولى1250هـ/ 29 تموز 1834م، ص456

([4]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3731، عابدين محفظة249 رقم355، 29 جمادى الأولى1250هـ/ 5 آب 1834م، ص460

لكن محمد علي باشا أرسل إلى إبراهيم باشا بعدم الموافقة(على خطته في التجنيد في فلسطين ويحضه على الاتصال بــبعض الــشيوخ المحبــين المخلــصين والتداول معهم في الامر والشروع في التجنيد وبعد ذلك ثم ينصح اليه ان يبتعد عــن حدة الطبع والتهور في الامور)([1])، وقد وافق زعماء نابلس على قرار التجنيد([2]) لكن الأهالي والشبان كانوا رافضين قطعياً للتجنيد لكن وعلى الرغم من ذلــك تحركــت (سفينتين إلى عكة لنقل المجندين من نــابلس وبعــض المحــلات الأخــرى إلــى طرسوس)([3]).

وفي يوم الأربعاء25 نيسان1834م جمع إبراهيم باشا أعيان القدس ومشايخ النواحي، وتلى عليهم أوامر والده بفرض التجنيد الإجباري على الــسكان، وكانــت حصة مدينة القدس200 مجند، وأما سكان ألوية القــدس ونــابلس جميعهــا فطلــب منهم3000 مجند، وحاول إبراهيم باشا إقناع مشايخ تلك النواحي، كما أمــره والــده بالتعاون معه على تنفيذ أوامر والده، وتقديم الأشخاص المطلــوبين للجنديــة، وقــد حضر هذا الاجتماع أعيان متسلمية نابلس، ومشايخ جبل القــدس والخليــل. طلــب إبراهيم باشا من جبل نابلس في هذا الاجتماع2000 جندي، ومن جبل القــدس1500 جندي، ومن مدينة القدس200 جندي، ومن جبل الخليل ومدينتها500 جندي، وطلب من مشايخ جبل نابلس تقديم6 أنفار من أولادهم، و4 من أولاد مشايخ جبل الخليــل، ولم يستطع الأعيان والمشايخ رفض طلب إبراهيم باشا، فوعدوه بإقناع الأهالي فــي مناطقهم لكنهم طلبوا من السرعسكر إبراهيم ألا يعتبرهم مسؤولين إذا لم ينجحوا في إقناع قومهم بقبول ما جرى الاتفاق عليه بينه وبينهم([4])، وهذا جواب صــريح مــن المشايخ على شدة وطأة هذا القرار على السكان.

وطبق نظام الكفالات على المجندين وذلك بان يتعهد ويقــر احــد أقــارب المجند بإحضاره عند هروبه واستعمل البدل في بعض الأحيان، وان بعض الــسكان

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3735، عابدين دفتر211 رقم366 و317، 30 جمادى الأولى1250هـ/ 6 آب 1834م، ص461- 462
([2]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص121
([3]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3986، عابدين دفتر211 رقم552، 15 ذي الحجة 1250هـ/ 14 نيسان 1835م، ص513
([4]) عادل مناع، تاريخ فلسطين، ص142- 143

المقتدرين أو من لهم ملك باعوه واشتروا بَدَلات عن أولادهم بمال وافر وكان ذلك بحاجة إلى جهد كبير حتى يتسنى لهم اخذ أولادهم بالبدلات المذكور فارتفعت نتيجة لذلك أسعار البدلات([1])، وإذا تم القبض على إحدى أبناء الأغنياء كانوا يقدموا بدله شخص من(الفلايتيه) المشردين حتى وصل ثمن البدل عن الجندية إلى 10 آلاف، وقد وجدت الرشوة مكاناً لها في هذا المضمار([2]).

فقد ارتأت الإدارة المصرية إتمام عملية حصر أعداد الشباب المطلوبين للجندية على أساس توزيع ضريبة الفردة، وأن يجند نسبة10% من كل حي من الشباب ويستثنى الأجانب والمُسِنون، وأصحاب الرتب، والأفندية، والموظفون، والقضاة، والعاملون في الجمارك، والتجار، والمشايخ، وعلماء الدين، وأهل الذمة لأنهم يدفعون الجزية([3]).

استقرت كراهية الجندية في قلوب أهل الشام، والمصريين إذ إنهم كانوا يميلون إلى الارتباط بالأرض ويكرهون الغربة والتغرب، وزاد من إحباط الشاب المطلوب للجندية انه يجند ليقاتل في حرب ليس له فيها ناقة ولا جمل أو مصلحة وأنها ليست دفاعاً عن أرضه أو عرضه أو دينه.

إرتفعت أصوات كثيرة معارضة للتجنيد، وهرب قسم من الشباب النابلسي إلى البراري والجبال، وهرب قسم آخر توجه إلى بلاد بعيدة هرباً من الجندية كبغداد وغيرها([4])، فكان التجنيد الإجباري هو أحد أسباب ثورة نابلس وغيرها من الأحداث والقلاقل التي عمت فلسطين([5]).

لقد كان جبل نابلس ملجأ الهاربين من البلدان المجاورة على مر العصور إذ لجأ إليه يوسف باشا آل سيفا حين طارده الأمير فخر الدين المعني، وقد حماه ونصره أميرا جبل نابلس آنذاك الأمير محمد فروخ والأمير أحمد آل طرباي، وكان المطرودون بالدماء في جبال القدس والخليل وعجلون والكرك والبلقاء وغيرها

([1]) مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية، ص73
([2]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص292
([3]) المرجع نفسه، ص289
([4]) مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية، ص73
([5]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص122

يلجئون الى جبل نابلس فيحميهم أهله إلى أن يقع الصلح فيرجعوا أو يبقوا فيه، ويظهر ذلك في أنساب الكثيرين من سكانه، وعندما زحف نابليون إلى عكا، واجتاز حيفا وقرى ناحيتها انسحب الشيخ مسعود بن ماضي بمجموعة إلى جبل نابلس، ولما هاجر البلابسة المصريون هرباً من ضغط محمد علي باشا نتيجة التجنيد نزلوا في غزة ويافا ثم انتقلوا إلى نابلس، ولجأ إلى جبل نابلس كثيرون من أهل الحرف والصناعات وجلهم من النصارى([1]).

بلغ عدد الفارين من ضغط محمد علي باشا من مصر حوالي10 آلاف أو12 ألف من الفلاحين وذلك في سنة1829م([2])، وكانت هذه واحدة من أسباب كثيرة دفعت محمد علي باشا الى القيام بحملة إلى بلاد الشام، وان إيواء نابلس للفارين وعدم إرجاعهم جعل محمد علي يحقد عليها، وقد ظهر ذلك الحقد على نابلس في الطريقة التي تعامل بها مع زعمار ثورة نابلس إذ ترك ليد البطش تُعمل سيفها، ولم تأخذه بهم رحمة أو شفقة([3]).

2- نزع السلاح: إن السلاح آلة شديدة الضرر بالسكان، ونزعه من أيديهم بعد قيام الدولة بحفظ الأمن وإقرار السكينة في البلاد أمرٌ لا غبار عليه، على ان نزعه من أيدي الشاميين أحدث استياءً عظيماً لأنهم اعتادوا نقل السلاح واستعماله منذ أجيال، وكان الزعماء يفاخرون بالتفاف رجالهم حولهم وهم شاكو السلاح، فالسلاح كان أحد مظاهر القوة والعظمة التي عز على أهل الشام فقدها، وأن كان تجريد السكان من السلاح له ما يبرره، ولكن الخطة التي اتبعت في التنفيذ كانت جائرة، وكان فيها من القسوة والترويع ما ألَّبَ الشاميين بعامة والنابلسيين بخاصة ضد حكومة محمد علي باشا، وكانت أجهزة حكومة محمد علي تعتبر كل رجلٍ مسلحاً ولو كان ممن لم يقتنوا السلاح مطلقاً، وتكرهه على تسليمها سلاحاً يضطر إلى

([1]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص486

([2]) اسد رستم، محمد علي باشا والسلطان محمود الثاني، مجلة المقتطف ج3، م67، مكتبة شكري شعشاعة، 11محرم 1344هـ/ 1 آب 1925م،ص281

([3]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص247؛ انظر أسد رستم، محمد علي والسلطان محمود الثاني، ج5، م66، ص540

شرائه لينجو من ضغط الحكام([1])، إذ تم نزع السلاح من السكان بطرق متعددة لم تخلو من القوة والحصار للمدن والقرى([2]).

3- إن الرأي العام الإسلامي في فلسطين تحول ضد حكم محمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا فيها بعدما شعروا بالتضييق الاقتصادي، وعمليات التجنيد الإجباري، وعانوا من طريقة نزع السلاح حتى أن أحدهم صعد على مئذنة أحد الجوامع في نابلس وصاح بصوته قائلاً: (ألم يعد للدين الإسلامي وجود؟ هل هو مات؟ يجب على كل إنسان يحب النبي أن يتقلد السلاح ضد الرجل الذي لا دين له، وهو الكافر إبراهيم باشا)([3])، وقد ذهب شاباً تركياً من يافا إلى نابلس وصنع صليباً من الخشب وصعد إلى مئذنة الجامع الكبير في نابلس وبيده ذلك الصليب فأخذ يصيح من فوق المئذنة قائلاً: (هل ذهب دين محمد وانقضى؟ هل ارتفع الصليب على الهلال؟ من كان منكم مسلماً فيقاتل هذا النصراني إبراهيم باشا)([4]).

4- رفض الضرائب: إن مظالم حكومة محمد علي باشا، وما فرضته من ضرائب آذت المسلمين في شعورهم الديني، فإن ضريبة الفردة، قد أثقلت كاهل الشعب على اختلاف مذاهبه وطبقاته بأعباء مرهقة حتى أن الأغنياء حملوا منها فوق طاقتهم، فقد شاركت هذه الضريبة الملاكين والصناع والعمال في قطف ثمرة تعبهم، وشردت رجال البلاد في الآفاق إما بسوقهم إلى الخدمة العسكرية في البلدان البعيدة سوق الجناة أو للسخرة(ضريبة السخرة) في الأشغال الأميرية بأجور زهيدة، أو بإلجائهم إلى الفرار إلى حيث لا تصل يد الدولة إليهم، فخلت الحقول من زارعيها، وارتفعت أجور العمال الباقين ارتفاعاً فاحشاً تعذر معه على ذوي الأملاك استثمار أملاكهم، وتقهقرت تجارة البلاد التي كانت في بداية عهد الحكومة قد أخذت في الانتعاش. استعملت الحكومة المصرية ضروباً من القسوة في جميع إجراءاتها

([1]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص165

([2]) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص125؛ انظر كارل بروكلمان، الإسلام في القرن التاسع عشر، ص17

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص173

([4]) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص150؛ انظر عبد الله كلبونة، تاريخ مدينة نابلس، ص88؛ انظر سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص165- 166

مما أوغر الصدور، وأحرج سكان بلاد الشام كافة إحراجاً لـم يبـقَ وراءه سـوى انفجار بركان الأحقاد، وشبوب نار الثورات في البلاد([1]).

فقد توسع إبراهيم باشا في فرض سلسلة من الضرائب التي أثقلـت كاهـل الأهالي، ومن هذه الضرائب: ضريبة الفردة التي فرضت على البالغين، وضـريبة الشونة المفروضة على الأهالي لتأمين حاجـات الجـيش ومؤونتـه العـسكرية([2])، وغيرها من الضرائب– التي ذكرت في الفصل الرابع– إن هذه الضرائب أضـرَّت بعلاقة الدولة برعاياها وزادت من استياء الناس من حكومة محمد علي، وزاد مـن هذا الاستياء أن عائد هذه الضرائب لا يستفيد منه أهل نابلس بل يرسل إلى الخزينة المصرية في القاهرة، مما عزز قيام الشاميين بـالثورة والتمـرد والتعبيـر بـشتى الوسائل عن رفضهم هذا الواقع المرير.

تلقى إبراهيم باشا أوامر والده وهو في يافا مع أركـان حربـه، بـضرب الضرائب فأذاع ذلك بمنشور وأوامر أصدرها إلى الحكام، فاتفقـت أسـرة طوقـان وأسرة الجرار من جبال نابلس، مع أسرة أبي غوش التي ما بين القدس ويافا علـى مقاومة ذلك، ولعل سبب اتفاق هذه الأسر على الثورة هو أن أسرة طوقـان كـانوا الحكام في عهد الأتراك، وأن إبراهيم باشا قد أسقطهم وأحل محلهم آل عبد الهـادي، وأما أسرة أبي غوش فكانت تقطع الطريق على الحجاج وسواهم وتأخذ منهم ضريبة (الخوة)، وقد أبطل إبراهيم باشا هذه الضريبة وسجن زعيمهم في سـجن عكـا ثـم أخرجه من السجن رغبة في كسب ولائه([3]).

أدت اتفاقية كوتاهية سنة1833م المبرمة مع السلطان محمود الثـاني إلـى ارتفاع قيمة الضرائب المطلوبة من الأهالي فزاد تذمر السكان وساهم في دفعهم إلى الانضمام إلى الثورة ضد الحكم المصري في أنحاء متعددة من بلاد الشام كان أولها ثورة فلسطين سنة1834م([4]). وعلى الرغم من أن إبراهيم باشا قد حدَّد الضرائب في

(1) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص167
(2) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص124؛ انظر عبد الله كلبونة، تاريخ مدينة نـابلس، ص88؛ انظر مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية، ص18
(3) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص125- 126
(4) عادل مناع، تاريخ فلسطين، ص141

السنوات الأولى من الحكم المصري إلا إن الاستعدادات للحرب ضد الأتراك اضطرته إلى اعتصار الضرائب من أهل الشام بصورة أشد([1])، وقد شعر السكان بعبء الضرائب الفادحة أكثر فأكثر سيما وأن هذه الضرائب كانت تفيض إلى مصر دون ما انقطاع أو نقصان، وما هي إلا فترة وجيزة حتى انقلب الرأي العام على إبراهيم باشا انقلاباً تاما تمثل بقيام الثورة([2])؛ فقد ماجت نابلس بالثورات بسبب الضرائب التي طلبتها الدولة تباعاً والتي كان الولاة يتعهدون بدفعها للدولة ويقومون هم بجمعها كما يحلو لهم، فيما عرف بنظام الالتزام وكانت النتيجة شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية([3]).

5- الاحتكار الاقتصادي: وتمثل باحتكار تجارة الحرير والحبوب لصالح الدولة المصرية([4])، ولعل أهم الأسباب التي حملت محمد علي باشا على الاستيلاء على بلاد الشام هو رغبته بالانتفاع بما فيها من مال ورجال، ولذلك لم ينقضِ زمن طويل على امضاء معاهدة كوتاهية، وعلى الخطة الحكيمة التي كان إبراهيم باشا قد انتهجها في إدارة بلاد الشام، حتى وردت عليه أوامر والده قاضية على آمال سكان بلاد الشام، وموجبة عليهم الخضوع للسياسة العسكرية والاقتصادية التي جرت عليها مصر، فإن الأوامر التي أصدرها محمد علي إلى نجله إبراهيم باشا في أوائل سنة1834م أوجبت إجراء ما يلي([5]):

أ- احتكار الحرير في بلاد الشام.

ب- تحصيل الفردة أي ضريبة الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم.

ج- التجنيد في البلاد الساحلية.

د- نزع السلاح من أيدي أهل البلاد.

([1]) لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ص135؛ انظر داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص124

([2]) كارل بروكلمان، الإسلام في القرن التاسع عشر، ص17- 18

([3]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص35

([4]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص124

([5]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص152- 153

كانت هذه الإجراءات جميعها موطن سخط ورفض من قِبل السكان، وشكلت بمجموعها أسباباً غير مباشرة للثورة التي قادتها نابلس للخلاص من هذا الاستبداد القائم على تسخير موارد المدينة وسكانها لسطوة الإدارة المصرية.

الأسباب المباشرة:

قام إبراهيم باشا بتقليص نفوذ مشايخ جبل نابلس وزعمائه في السلطة من أمثال آل طوقان وآل الجرار وآل القاسم([1])، وهي سياسة التفريق التي اتبعها إبراهيم بين زعماء نابلس ومشايخ جبلها، وما كان منه من تقريب عائلة عبد الهادي وإبعاد محمد القاسم عن متسلمية نابلس([2]) فتمكن آل عبد الهادي الذين طمعوا بمتسلمية نابلس لتوطيد مركزهم فيها، من الحصول على أمر من حكمدار بلاد الشام محمد شريف في أوائل تشرين أول من سنة1833م، يقضي بتنحية الشيخ قاسم الأحمد عن متسلمية القدس بحجة تقدمه بالسن، وبتحويلها إلى عهدة ابنه الشيخ محمد قاسم الأحمد الذي كان متسلماً على نابلس ونتيجة لهذا الأمر شغرت متسلمية نابلس، وأحيلت إلى عهدة الشيخ سليمان عبد الهادي ابن الشيخ حسين فثارت ثائرة آل القاسم، واستشاطوا غيظاً، وقاموا يبثون روح التمرد والعصيان لقيام الثورة([3]). فكان ذلك من أهم الأسباب التي دفعت الى قيام الثورة، ومن أهم الأسباب المباشر لها.

كان لزوال نفوذ المشايخ والرؤساء وأصحاب الامتيازات في متسلمية نابلس أثر بالغ في نفوسهم بعد أن كان لهذه العائلات وهؤلاء المشايخ نفوذ إقطاعي في المدينة وقراها([4])، والذي كان مرفوضا عند هذه العائلات كل الرفض هو أن تسحب منهم هذه الاقتطاعات والامتيازات، إذ كانت لهم المكانة المرموقة والمركز المهيب في الفترة التي سبقت الوجود المصري لبلاد الشام، وبالذات في متسلمية نابلس([5]).

([1]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص124

([2]) عبد الله كلبونة، تاريخ مدينة نابلس، ص88

([3]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص120

([4]) أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر، ص78

([5]) لقد قامت على ارض نابلس اشهر المعارك التي تعرضت لها البلاد منذ العصور القديمة حيث وقعت معركة مجدو، وخلال العصور الوسطى حيث وقعت معركتا أرسوف وعين جالوت، وفي العصور الحديثة في معركة صانور بالإضافة إلى حروبها مع نابليون، وثورتها ضد إبراهيم باشا علاوة على تصديها للاحتلال الصهيوني منذ إعلان وعد بلفور منذ سنة1917م؛ مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص39

ونتيجة لاحتقان نتائج وآثار الأسباب المباشرة وغير مباشرة لقيام الثورة في نابلس والتي أشعل فتيلها عزل آل القاسم عن المتسلمية، وإحلال آل عبد الهادي مكانهم، ونظام التجنيد، ونزع السلاح، ورفع الضرائب، كل ذلك أدى إلى قيام الشيخ قاسم الأحمد بعد عودته من الحج في سنة1250هـ/ 1834م، إلى عقد اجتماع في قرية بيت وزن حضره أكثر شيوخ البلاد الذين طفحت قلوبهم بالغيظ من آل عبد الهادي، فحضره الشيخ عبد الله الجرار، والشيخ عيسى البرقاوي، والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد، والشيخ قاسم الأحمد، وولداه الشيخ محمد والشيخ يوسف، وحضره أيضا الشيخ عيسى القدومي، واتفقوا على الثورة إلا الأخير فإنه نصحهم بعدم التورط مع إبراهيم باشا بحرب إذ كان مرسلاً من قِبل أحمد آغا النمر لنصيحتهم، وكان بإمكان هؤلاء المشايخ أن يكتبوا لمحمد علي باشا ولإبراهيم باشا اعتراضهم على توسع آل عبد الهادي في الحكم، واستغلال الحكم والطاعة لهم وحدهم، لكن شيوخ نابلس لجأوا للثورة للتعبير عن سخطهم من الإدارة المصرية وأعمالها([1]).

وقام أحمد آغا النمر بدعوة الشيوخ إلى التهدئة وعدم اللجوء إلى الثورة فلمس الشيوخ معارضة في جبل نابلس، وقاموا إلى جبل القدس لإعلان عصيانهم فيه واستغلال تذمر أهالي القدس من الحكم المصري([2])، وتجدر الإشارة إلى أن قاسم الأحمد كان في تلك الأثناء معتقلاً في يافا بأمر من إبراهيم باشا، وانه قد تمكن من الفرار من معتقله ليلتحق بالثوار في نابلس فتولى قيادتهم([3]).

لقد اجتمعت زعامات ومشايخ جبل نابلس من آل القاسم وآل الجرار وخيرهم واتفقت على قيام الثورة إلا آل عبد الهادي فقد وقف الشيخ حسين عبد الهادي وعائلته إلى جانب إبراهيم باشا([4])، ولا يستبعد أيضا أن يكون الشيخ حسين

([1]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص252- 253

([2]) اسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص121

([3]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص124

([4]) المرجع نفسه، ص118

عبد الهادي والي صيدا قد نقل إلى رئيسه السرعسكر ما كان يتمخض به جبل نابلس من حياكة للثورة([1]) الأمر الذي عزز مكانة هذه العائلة في ذلك العهد.

إن سياسة التفريق التي اتبعها إبراهيم باشا مع زعماء فلسطين استمالت إليه آل أبو غوش، وآل عبد الهادي فأمَّن على خط مواصلاته مابين يافا وداخل فلسطين، وضاق نطاق الثورة فبر بالوعد لأبناء أبو غوش بأن أخلى سبيل والدهم الذي كـــان سجيناً في عكا، وأعاده شيخا كما كان، فتعهد أبو غـــوش بتـــامين الطـــرق وجمـــع الأموال الأميرية وتقديمها في أوقاتها([2])، وجعل الشيخ حسين عبد الهادي من رجاله المقربين، أما الشيخ قاسم الأحمد فقد زاده انفصال أبناء أبو غوش وإبتعـــادهم عنـــه إصراراً على مقاومة إبراهيم باشا([3]).

حشد قاسم الأحمد وزعماء الثورة ما يقارب من65 ألف مقاتل، وكان ذلـــك في سنة1250هـــ/ 1834م([4]) في قرية الدير([5]) إذ وصل إبراهيم باشا إلـــى قريـــة الدير بعد تحركه من يافا ووصوله إلى الطيبة، فضرب أهلها ثم انتقل إلـــى قـــاقون فاحرقها، ثم توجه إلى زيتا وعتيل([6])، وفي زيتا هزم إبراهيم باشا الثوار ثم انتهى به الأمر بلقاء الثوار في قرية الدير([7]) التي لجأ إليها الثوار بعد فـــرارهم علـــى إثـــر

([1]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص121

([2]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية،م2، وثيقة3548، عابدين دفتر211 رقم217، 6 ربيع الأول1250هـ/ 10 أيلول 1834م، ص423

([3]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص175- 176؛ انظر أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص123؛ انظر عادل مناع، تاريخ فلسطين، ص150- 152؛ انظر احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص253

([4]) نبال خماش، تراجم مدينة نابلس، ص120

([5]) يشير احسان النمر ان قرية الدير التي دارت فيها الثورة بين النابلسيين وقوات إبراهيم باشا هو (دير مار الياس) عند برك سليمان ودون بيت لحم؛ إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص390، ويضيف احسان النمر في ج1، ص257 ان قرية الدير كما قدر الاب أغناطيوس الخوري في تاريخ مصطفى آغا برر ان الدير هو(دير الآباء الفرنسيسكان) في القدس أما قول البعض ان الدير هو نسبة إلى دير شرف فهو رأي مجانب للصواب لان دير شرف ليس فيها تحصينات تصد عصابة، والمثبت الصحيح ان الدير هو (دير مار الياس)، وهو قرية قرب الخضر في قضاء بيت لحم، وفي نفس الجزء لإحسان النمر،ص 253 ان قرية الدير تعرف اليوم باسم (قرية العنب)، وهي غرب القدس وملك إلى أبو غوش.

([6]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية،م2، وثيقة3549، عابدين دفتر211 رقم220، 6 ربيع الأول 1250هـ/ 10 أيلول 1834م، ص423

([7]) أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص125؛ انظر مؤلف مجهول، حروب إبراهيم باشا، ج1، ص41- 46

الهزيمة التي تكبدوها في قرية زيتا حيث اعتصموا في قرية الدير، فتبعهم إبـــراهيم باشا وأخذ يقتحم مراكزهم مشياً على الأقدام لوعورة مسالكها، ثم وصل قرية الشيخ عبد الله الجرار ومنها تحرك إلى نابلس، وقد كان رجال الشيخ حسين عبد الهـــادي يؤازرونه في أعماله([1]).

وقد حشد الشيخ قاسم الأحمد رجاله في بلدة الـــدير المـــذكورة، واشـــتبك الجيشان في قتال عنيف كان النصر فيه حليف إبراهيم باشا إذ قتل مـــن النابلـــسيين نحو700 رجل، واخذ إبراهيم باشا عدداً كبيراً من الأسرى، وبعد هزيمة الثوار فـــي قرية زيتا تقدم إبراهيم باشا إلى غيرها من قرى نابلس فكان يؤمن من يطلب الأمان ويحرق القرى التي يفر أهلها من وجهه ولما اقترب من بلدة نـــابلس خـــرج أهلهـــا لملاقاته طالبين الأمان فأجاب طلبهم ونزل على ماء خارج المدينة، وأخـــذ يقـــبض على ما تصل إليه يده من الذين اشتركوا في الثورة ويقوم بقتلهم، وكان مـــن بـــين الذين قبض عليهم وقتلوا الشيخ مسعود الماضي وولده([2])، وفي الحقيقـــة إن نـــابلس وجبالها لم يقع بها ثورة، وإنما وقعت الثورة في القدس وجبالها بمشاركة النابلـــسيين كون الثوار النابلسيين قاموا بثورتهم في جبل القدس([3]).

ومن خلال المرسوم المرسل من قبل محمد علي باشا إلى الـــشيخ ســـليمان عبد الهادي وكيل مدير ايالة صيدا يتضح تفصيلات الانتصار التي حققتهـــا قـــوات إبراهيم باشا على الثوار، وما آل إليه الثوار في قرية الدير، فقد جاء في المرســـوم: (فخر المشايخ المكرمين الشيخ سليمان عبد الهادي وكيل مدير ايالـــة صـــيدا حـــالا بمرسومنا المتقدم لكم قبل تاريخه بيومين عرفناكم على انتصار عساكرنا المنصوره تحت لوا سعادة ولدنا السرعسكر المفخم على اشقيا نابلوس في قرية الـــدير وعـــن تشتت جموع الاشقيا والان بعض اهالى القرايا طلبوا الامان وارسلنا لكم صـــورت

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية،م2، وثيقة3555، عابدين محفظة249 رقم113، 7 ربيع الأول1250هـ/ 11 أيلول 1834م، ص424

([2]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص176؛ انظر أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم2، ص123؛ انظر عادل مناع، تاريخ فلسطين، ص150- 152؛ انظر احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص253

([3]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3468، عابدين محفظة249 رقم57، 2 صفر1250هـ/ 10 حزيران 1834م، ص404

التحريرات الوارده من سعادة ولدنا المشار اليه بهذا الخصوص فبتاريخه يوم الاربعه حادي عشر شهر ربيع الأول حضر لنا تحريرات ثانيه من سعادة المشار اليه تتضمن حلول ركابه بالعساكر الظافرة في مدينة نابلوس وان الاشقيا قاسم الاحمد وعبد الله الجرار وعيسى البرقاوي وناصر المنصور بعد حرابة الدير وتشتت الجموع عنهم توجهوا الي نابلوس ومن نابلوس اخذوا أولادهم وفروا هاربين سعادته أوقع عليهم الارصاد لرمي القبض عليهم في أي محل يوجدوا فيه وان كافة مشايخ واهالي قرايا نابلوس افواجا افواجا يسترحموا الامان والراى واعطي لهم فاقتضى افادتكم بذلك وحيث من فضله تعالى انتهت هذه المصلحه علي خير فبمشية البارى صممنا علي العود الي الاسكندريه بهذه اليومين كما تقدم لكم التعريف يكون معلومكم والسلام في 11 را سنة250 من يافا الاربعه الختم محمد على)([1]).

إن قدوم إبراهيم باشا نفسه لإخضاع ثوار نابلس يدل على علمه بشدة بأسهم وقوتهم، حيث كان حسابه بمحله إذ لاقى منهم الأهوال، واختبرهم بمواقع القتال ورأى فيهم أشد رجال بلاد الشام عزماً وإقداماً فقد قاتلوه وضايقوه، ولما علم محمد علي باشا بما حل بنجله نهض لنجدته ولكنه لم يبلغ ساحة القتال لتغلبه عليهم بالخداع وأرغمهم للخلود إلى السكينة([2]) فقد امتاز جيش إبراهيم باشا بسرعة الهجوم وقوة الثبات فالجنود ملتزمون بأوامر الضباط والقادة العسكريين بكل دقة وحرص وانتباه([3]).

وقد توجه محمد علي باشا إلى فلسطين عندما قامت ثورة نابلس سنة1520هـ/ 1834م لزيارة نجله إبراهيم، وليباحثه في الأمر، وللتعاون معه في إخماد ما بقي من الثورة([4])، ومكث شهراً ثم غادر([5]) وسجلت المحفوظات الملكية المصرية بدقة الأحداث التي مرت بها الثورة بدءاً من اجتماع إبراهيم باشا بأعيان

([1]) أسد رستم، الاصول العربية، م2، وثيقة134، 25 صفر- 12 ربيع الأول1250هـ/ 3 تموز- 16 أيلول 1834م، ص116؛ انظر احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص256

([2]) ميخائيل مشاقة وآخرون، مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، ص166

([3]) أسد رستم، الاصول العربية، ج1، وثيقة61، 22 ذي الحجة1247هـ/ 23 أيار 1832م، ص133

([4]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية،م2، وثيقة3513، خديوي تركي دفتر778 رقم364، 16 صفر1250هـ/ 24 حزيران 1834م، ص415

([5]) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص143

نابلس والقدس والخليل في مدينة القدس، ونكوثهم بالعهود وتوتر العلاقات([1]) بالإضافة إلى الطلب من الشيخ حسين عبد الهادي أن يحث الأهالي على السكينة وطاعة الدولة([2])، وقد وضحت البصمات التركية في الثورات التي قامت بوجه إبراهيم باشا فقد قبض على الأتراك المحركين للثورة في نابلس وتم إعدامهم([3])؛ إذ كانت الدولة العثمانية تنظر دوما إلى استرجاع بلاد الشام إلى حكمها، وكانت تتحين الفرص التي من شأنها تقويض أركان الحكم المصري في الشام.

فقد أرسل إبراهيم باشا بأخبار الثورة إلى مصر يبين فيها ما تكبده الآي التاسع عشر من خسائر في عتاده ورجاله حتى يكون محمد علي باشا مطلعاً على تفاصيل الثورة، ولإبداء رأيه لبعض أحداثها وخلاصة ذلك([4]):

1- إن الشيخ قاسم الأحمد استمال جميع أهالي جبل نابلس إلى جانبه، وزحف بهم إلى القدس، فصده السرعسكر إبراهيم باشا في قرية لفته وكبده بعض الخسائر.

2- إن المصلحة تقتضي اطلاع الأمير بشير الشهابي على أخبار الثورة كما يرويها السرعسكر كي يعيد وعيه، ولا يعرض نفسه للبلاء في شيخوخته.

3- إن الثوار كبدوا الآلاي التاسع عشر خسائر فادحة بين يافا وحيفا، وان الضرورة تقتضي إرسال آلايين من المشاة إلى يافا، وإرسال سليم باشا على رأس آلاي الفرسان الغارديا إلى نابلس.

4- إن الآلاي التاسع عشر فَقَدَ أسلحته وميرته، وإن عكا لم ترسل له ميرى أو سلاح.

وبهبوط كفة الثوار طلب أهل القدس والخليل وكثير من أهل نابلس العفو والأمان. ورجا شيوخهم من إبراهيم باشا السماح والعفو فنالوه بشريطة إعلانهم

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3433، عابدين محفظة249 رقم17، 11 محرم1250هـ/ 20 أيار 1834م، ص397

([2]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م1، وثيقة1025، عابدين محفظة234 رقم158، 1247هـ/ 1831م، ص322

([3]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص306

([4]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3503، عابدين محفظة249 رقم87، 13 صفر1250هـ/ 21 حزيران 1834م، ص411

إمتثالهم لأوامره، وعدم العودة الى الثورة مرة أخرى، فأعطاهم الأمـــان([1])، وألقـــي القبض على الفلاحين وتم فحصهم بمعرفة الطبيب ومن صـــلح مـــنهم للعمـــل فـــي الأسطول أرسل ومن تبقى ألحق بالايالات([2]).

أما ما آل إليه الثوار بعد الهزيمة التي لحقت بهم، فقد توجه قاســـم الأحمـــد وزعماء الثورة عبد الله الجرار وعيسى البرقاوي وناصر المنصور من الدير إلـــى نابلس([3])، فاخذوا أولادهم وفروا إلى الخليل([4])، وقام إبراهيم باشا إلى نابلس ودخلها في18 تموز1834م وتقبلَ فيها أهلها وسكان قراها، ثم سار السرعسكر إبراهيم باشا في5 آب1834م إلى القدس فالخليل وتغلب على أهلها، وفي13 من الشهر ذاته توجه ابراهيم باشا من الخليل إلى الكرك فنزل إلى غور الأردن ومرَّ بالطفيلـــة، ومـــا أن أطل على الكرك حتى قام عربانها وأهلها إلى قتاله، فدخلها عنوة وأعمل النار فيها، وكان قاسم الأحمد وأولاده وبعض أعوانه قد قدموا من الكرك إلـــى عجلـــون عـــن طريق أريحا، فقبض عليهم الشيخ دوخي السمير، وأرسلهم إلى الشيخ عامر الهنادي، فأمر السرعسكر إبراهيم باشا بقتلهم فقتل الشيخ قاســـم الأحمـــد، والـــشيخ عيـــسى البرقاوي في دمشق، وقطعت رؤوس أولادهم في عكا والقدس، وقام عمال إبـــراهيم باشا بتجريد السكان من السلاح فجمعوا من نابلس وحدها5600 بندقية([5])، ثم جـــرت عملية تجنيد الشبان فتم جمع أعداد كبيرة منهم وأرسلوا إلى القلاع ثـــم إلـــى ســـفن الأسطول([6]).

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3520، عابدين محفظـة249 رقم97، 17 صـفر1250هــ/ 25 حزيـران 1834م، ص415- 416 ؛ انظـر أسـد رسـتم، المحفوظـات الملكيـة المـصرية، م2، وثيقـة3544، معيـة تركـي دفتـر69 رقـم32، 3 ربيـع الأول 1250هــ/ 7 أيلـول 1834م، ص422

([2]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص298

([3]) أسـد رسـتم، المحفوظـات الملكيـة المـصرية، م2، وثيقـة3560، عابـدين محفظـة249 رقـم121 و123، 9 ربيع الأول 1250هـ/ 13 أيلول 1834م، ص

([4]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص176

([5]) اسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، القسم 2، ص125- 126؛ انظر احسان النمر، تـاريخ جبـل نـابلس والبلقـاء، ج1، ص157- 158؛ انظـر سـليمان أبـو عزالـدين، إبـراهيم باشـا فـي سـوريا، ص177- 179

([6]) أسد رسـتم، المحفوظـات الملكيـة المـصرية، م2، وثيقـة3613، عابـدين محفظـة249 رقـم183، سلخ ربيع الأول 1250/ أوائل أيلول 1834م، ص435

قام إبراهيم باشا في أثناء مروره في قرى نابلس، بجمع مال ضريبة الفردة، وأخذ يجرد السكان من السلاح، وينشر الأمن، وعندما إطمأن محمد علي باشا إلى نجاح جنوده في إخماد الثورة عاد إلى الإسكندرية، فوصلها في29 تموز1834م([1])، وأرسلت المراسيم والكتب لجمع السلاح من مدينة نابلس، ولضمان عدم قيام فتنة أو ثورة في المستقبل، وهذه المراسيم تبين ضرورة جمع السلاح ونزعه من شيوخ متسلمية نابلس وسكانها.

(قدوة المشايخ المكرمين الشيخ سليمان متسلم سنجق نابلوس حالا بهذا الان ورد لطرفنا شقه من ميرلوا سليم بك المقيم بالقدس ومنها استبان ان السلاح لم يزل مختفى في نابلوس فراسلين لطرفكم الشقه الواردة من طرف المومى اليه طيه فبعد وقوفكم على مضمونها إذا كان تريدوا المراجعه في هذه الخصوص ارسلوا تحرير إلى المومى اليه يرسل لكم الناس الذي اشتروا سلاح في نابلوس وحققوا ذلك بالمواجهه والحمد لله لم بقا برهان خلاف ذلك لاثبات كلامنا لكم بخصوص السلاح ثانيا مبلغ السلاح الذي قررتوا عينه إلى ميرلوا سوارى احمد بك لحد تاريخه ما جمعتوه شيخ سليمان مصلحت السلاح لا يصح فيها لعب فيلزم بحال وصول مرسومنا هذا اليكم لا تغفلو عن مادة السلاح ولا تناموا بالليل ولا بالنهار لان هذا المصلحه يحصل لكم ضرر منها فيما بعد فها قد حذرناكم اعلموه واعتمدوه

في5 ج سنة250 الختم

من المزيريب سلام على إبراهيم)([2]).

لقد كانت مدينة نابلس المدينة الوحيدة التي نجت من غضب إبراهيم باشا لأنه كان شديد الغضب قوي الإرادة، بخلاف غيرها من المدن التي تعرضت للهدم

([1]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص176- 177؛ انظر أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3560، عابدين محفظة249 رقم121 و123، 9 ربيع الأول 1250/ 13 أيلول 1834م، ص425

([2]) أسد رستم، الاصول العربية، م2، وثيقة146، 1 جمادى الأولى- 19 جمادى الآخرة1250هـ/ 8 تموز- 25 آب 1834م، ص136؛ انظر أسد رستم، الاصول العربية، م2، وثيقة146، 1 جمادى الأولى- 19 جمادى الآخرة1250هـ/ 8 تموز- 25 آب 1834م، ص137؛ انظر أسد رستم، الاصول العربية، م2، وثيقة146، 1 جمادى الأولى- 19 جمادى الآخرة1250هـ/ 8 تموز- 25 آب 1834م، ص132- 133

أو للحرق فأحرق إبراهيم باشا مدينة الكرك وقطَّع أشجارها لأنها أوت قاسم الأحمد وأولاده، وبرجوع أحمد آغا النمر إلى نابلس أخبر أهل القرى المجاورة للطريق بأن يخرج رجالها ونساؤها وأطفالها لإستقبال جيش إبراهيم باشا، وتم الاتفاق مع وجهاء نابلس وشيوخها على خطة الاستقبال، وفي الوقت المضروب وصل إبراهيم باشا إلى وادي نابلس، ونصب صيوانه في بستان البصة في الجهة المجاورة لعين بيت الماء، ولما بلغ نابلس الخبر توجه وفد من علمائها برئاسة الشيخ عبد الرحمن زيد القادري لاستقبال إبراهيم باشا ومن معه من الجيش([1]) واستقبله الأهالي اســتقبلاً بــاهراً([2])، فصام إبراهيم باشا شهر رمضان في نابلس ونزل هو وخاصته في قصر أحمد آغــا النمر الذي قدم ولده ليكون أول جندي من جنود البلاد فأدخله الجيش ورقاه إلى رتبة ميرألاي وقد قدَّر إبراهيم باشا حسن استقبال أحمد آغا، وأعاد لــه تيماراتــه، وولاه شيخاً في متسلمية نابلس([3]).

وبانتصار إبراهيم باشا على الثوار النابلسيين، أشيع الخبر(وقد أعلنت هــذه البشرى في حلب بإطلاق المدافع وعممتها في أنحاء الايالة كتابةً)([4])، ومن الجــدير ذكره أن النابلسيين قد شاركوا مع القوات المصرية كأفراد مجندين في إخماد العديــد من الثورات سواء في عكا([5]) أو في جبال الدروز([6]) وزغرتا بالقرب من طــرابلس

([1]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص255- 256

([2]) اسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3573، معية تركي دفتر75 رقم187، 11 ربيع الأول1250هـ/ 15 أيلول 1834م، ص428

([3]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص259

([4]) اسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م2، وثيقة3593، عابدين محفظة249 رقم163، 22 ربيع الأول1250هـ/ 26 أيلول 1834م، ص432

([5]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م1، وثيقة597، عابدين محفظة232 رقم77، 27 رمضان1247هـ/ 29 شباط 1832م، ص218-220

([6]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م3، وثيقة5252، عابدين محفظة255 رقم318، 18 شوال1252هـ/ 25 كانون ثاني 1837م، ص312

الشام وكذلك صيدا([1]) وفي بيروت وزحلة([2]) والمشاركة أيضا في الحرب الروسية وبلاد القفقاس([3]).

وعلى الرغم من الأسباب التي حالت دون اجتماع كلمة سكان بلاد الشام على القيام بالثورة دفعة واحدة فإن نيران الثورات التي بدأ شبوبها سنة1834م إنتقلت من فلسطين إلى جبال العلويين، فشمالي بلاد الشام، فحوران فلبنان، ولم تنتهِ إلا بانتهاء حكم محمد علي باشا في بلاد الشام. ويمكن القول أن ما فقده محمد علي من جيشه في محاربة الثوار في بلاد الشام بسبب تنفيذ قانون التجنيد الإجباري أكثر بكثير من عدد الذين تمكن من تجنيدهم، وإن ما استولى عليه من أموال بحق أو بغير حق أُنفق أضعاف أضعافه في محاولة إخضاعهم، لان جميع التدابير التي نفّذها لإضعاف قوتهم، ولَّد في نفوسهم من الغيظ والغيرة على حقوقهم والمحافظة على كرامتهم وكيانهم ما يزيد على القوى التي سلبها منهم، كما أن أعداء محمد علي باشا من عثمانيين وأوروبيين استثمروا هياج أفكار أهل بلاد الشام فأيدوا الثائرين حتى انتهى الأمر بخروج إبراهيم باشا بجنوده وسائر رجال حكومة محمد علي باشا من بلاد الشام قاطبة([4]).

5. 3 الطوائف الدينية

كان معظم سكان متسلمية نابلس وقراها من المسلمين بالإضافة إلى وجود طوائف دينية أخرى كالنصارى والسامريين([5])، وقامت الإدارة المصرية في بلاد الشام منذ البداية باتباع سياسة حكيمة كان لها أكبر الأثر في تضييق الفجوة بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة؛ إذ لم يسمح للطوائف الدينية غير المسلمة من إصلاح أوصيانة كنائسهم ومعابدهم المتصدعة والمتضررة فحسب بل سمح لهم

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م4، وثيقة6375، عابدين محفظة259 رقم210، جمادى الأولى1256هـ/ أيار 1840م، ص408

([2]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م4، وثيقة6355، عابدين محفظة259 رقم186، 28 ربيع الثاني 1256هـ/ 26 آب 1840م، ص396- 397

([3]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص552

([4]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص167- 168

([5]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص90

أيضا ببناء بيوت عبادة جديدة، وتمتعت الطوائف غير المسلمة بالحماية من الإبتزازات، وكذلك من الضرائب التقليدية على الحجاج، وفتحت أبواب الوظائف بأنواعها المختلفة أمام أبناء هذه الطوائف فهذا حنا بحري كان على رأس مركز من أهم المراكز الاقتصادية الحساسة في الدولة ألا وهو المشرف المالي العام في الدولة المصرية، ومُثِلَت الطوائف الدينية في مجالس المشورة (الشورى)، وسمع رأيها وأخذ به، وحصلت على الحقوق ذاتها الممنوحة للمسلمين، فلم ينقص شيء من حقوقهم([1]).

فقد دخل إبراهيم باشا مرةً إلى مجلس يضم كبار رجال مجلسه وكان بينهم حنا بك بحري فنهضوا واقفين فقال إبراهيم باشا: (يا بك تقدم نحوي) دون أن يذكر اسم البك الذي طلب تقدمه، فلم يخطر ببال أحد منهم انه يقصد حنا بك بحري دون غيره من البكوات الواقفين أمامه، فتقدم موظف آخر وهو حافظ بك فقال له إبراهيم باشا: (إني أنادي بحري بك) فرجع حافظ بك إلى مكانه، وتقدم بحري بك، ولما دنا منه قال له: (تفضل)، وأجلسه على مقربة منه. أما سائر رجال المجلس فبقوا في أماكنهم، وقال لهم: (إجلسوا)، وبعد ذلك الحدث أصبح الحكام يعاملون حنا بك بحري المعاملة اللائقة بمقامه، بغض النظر عن كونه غير مسلم، وهذا يدل على مدى السماحة الدينية التي عامل بها إبراهيم باشا رجال دولته([2]).

لقد كان الهمَّ الأول لإبراهيم باشا عند دخوله لبلاد الشام هو إزالة ما علق من الفوارق الدينية بين المسلمين وغيرهم من الطوائف الدينية، وإشاعة المساواة بين الرعايا فأعلن للأهالي أن اليهود والنصارى ليسوا أحط من المسلمين مقاماً حتى ينزل النصراني عن دابته إذا قابل في الطريق شخصاً مسلماً، ولا يحرم عليهم لبس الحذاء الأحمر، ولا يكرهوا على ارتداء الملابس السوداء والزرقاء([3]). وسمح لهم بارتداء العمائم الخضراء والبيضاء والحمراء التي كانت محظورة عليهم. وفي عهد إبراهيم باشا أيضا طرح الأمير بشير الشهابي وأولاده العمائم واستبدلوها بالطربوش

([1]) أمين محمود، الإدارة المصرية في بلاد الشام، ص125

([2]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص313- 314

([3]) داود بركات، البطل الفاتح إبراهيم، ص141؛ انظر لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص247

المغربي اقتداءً بمحمد علي باشا ونجله إبراهيم باشا ورجالهما، فتبعهم في ذلك كبار رجال البلاد وغيرهم من السكان([1]).

إن النابلسيين بمختلف طوائفهم في عهد محمد علي باشا كانوا يعيشون عيشاً موحداً، فلم تكن هنالك فوارق بين المسلم والمسيحي والسامري، وأُزيحت الحزازات جانباً وتعاون النابلسيون في كل شيء على أساس المصلحة العامة، فترى المسيحي يبتاع ويشتري من المسلم والسامري، وكذلك كان يفعل المسلم فقد كان يتاجر مع إخوانه من الطوائف الدينية الأخرى([2])، لقد كان إبراهيم باشا كوالده محمد علي باشا يحث على التسامح الديني وعدم التعصب، فهو ميَّال الى التسامح مع أتباع الديانات الأخرى، وهي صفة لم تكن مألوفة لدى الباشوات فيما سبق([3]).

كانت سياسة الإدارة المصرية هي السعي لتثبيت المساواة بين أهل الذمة من يهود ومسيحيين بالمسلمين، وهي سياسة جديدة غريبة نسبياً على أهالي المنطقة، وقد نظر معظم المسلمين بعين الريبة والحسد إلى بعض الامتيازات الجديدة التي حصل عليها غير المسلمين وبخاصة الطوائف المسيحية وكنائسهم وأديرتهم تلك الامتيازات التي حصلت عليها الطوائف المسيحية بفضل ضغط الدول الأوروبية التي تنافست فيما بينها لبسط حمايتها على تلك الطوائف، وبفضل الحركة النشطة الكثيفة للجمعيات التبشيرية التي زادت نشاطها في الأراضي المقدسة، وتحسنت نتيجة لذلك أوضاع المسيحيين واليهود في ظل السياسة الجديدة التي اتبعتها الحكومة المصرية، وبخاصة فيما يتعلق بالحريات الدينية والسياسية، وبإنشاء أماكن العبادة وترميمها دون عقبات. كما أن قناصل الدول الأجنبية كثفوا نشاطهم في بداية الحكم المصري لبلاد الشام فأعفي من كان تحت حمايتهم من ضريبة الفردة التي فرضت على بقية السكان، فانقلبت الأمور بالنسبة للمسلمين وزعمائهم الذين اعتادوا نظاماً منحهم عدة امتيازات دون غيرهم في الحكم العثماني([4]).

([1]) عدنان جراد، الحكم المصري في سورية، ص79

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص238

([3]) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص134

([4]) عادل مناع، تاريخ فلسطين، ص158- 159

وبالرغم من سياسة التسامح الطائفي التي اتبعها إبراهيم باشا إلا أنه فشل في تحقيق الاندماج الاجتماعي الكلي بين المسلمين والطوائف الأخرى، فان إرضاء الناس غاية لا تدرك؛ فأبدى السكان المسلمون رد فعل معادٍ للسياسة الرامية إلى فقدانهم لمركزهم التقليدي مقابل منح المزيد من الامتيازات للمسيحيين واليهود، فحدثت إشكاليات، وفتن طائفية في أرجاء متعددة من بلاد الشام، بلغت أوجها في أعقاب الحكم المصري([1]).

وكان لمدينة نابلس مكانة دينية وتاريخية متميزة؛ إذ مر بها كثير من الأنبياء مثل إبراهيم، ويعقوب، وعيسى عليهم السلام، وترك بعضهم فيها آثار لا تزال شاخصة للعيان، ويروى أن يعقوب عليه السلام جاء إلى فلسطين قادما من سوريا في ق18 ق.م فسمح له حاكم المدينة الكنعاني(حمور الحوي) أن يبني مذبحاً([2])، واحتضنت مدينة نابلس الطوائف الدينية من الذميين نصارى ويهود سامرة، وكانت الغالبية العظمى فيها من السكان المسلمين، وكان الذميون ملتزمين بدفع الجزية بقدر معلوم([3])، وفيما يلي عرض للحياة الدينية التي عاشها كل من المسلمين والنصارى والسامرة:

المسلمون: كان المسلمون الأكثر عدداً في مدينة نابلس([4]) فقد قدَّر تقرير(المستر جيمس فرن) القنصل البريطاني الصادر في أواسط ق19م عدد المسلمين القادرين على حمل السلاح في نابلس بـ 30 ألفا، ويضم مثله مع فارق النساء أي65 ألفاً فيكون عدد المسلمين جميعاً125 ألفاً، ويضم25 ألفاً من البدو المسلمين الذين لم يصلهم العدد، وكانوا يسكنون المنطقة الشرقية فيصبح العدد الإجمالي تقريباً150 ألفاً([5]).

([1]) أمين محمود، الإدارة المصرية في بلاد الشام، ص125
([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص14
([3]) محافظ الأبحاث، محفظة69، وثيقة237، 25 ربيع الأول1248هـ/ 20 تشرين أول 1832م
([4]) السمعاني، الانساب، ج5، ص441
([5]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص36

وقد كان إبراهيم باشا يستعطف النابلسيين ويسعى لاستمالتهم إلى صفه، وذلك لشجاعتهم وسرعة حركتهم، ولتمسكهم بالدين الإسلامي الحنيف([1])، وأبطل الحكم المصري عادة تقديم الهدايا في شهر رمضان للولاة والحكام، واعتبرها إبراهيم باشا نوعاً من النفاق والرشوة([2]).

إن المسلمين في مدينة نابلس كان لهم مكانة مرموقة في ظل الحكم المصري إذ أنهم يدينون بديانة الدولة المصرية الإسلامية، وأشاد النابلسيون العديد من المساجد، والزوايا، والعديد من المرافق الدينية والمدنية، وشاع عدد من الطرق الصوفية في المدينة منها: الطريقة الشاذلية، والخلوتية، والرفاعية التي نزل أحد أقطابها السيد مصطفى البكري في نابلس، بالإضافة إلى وجود عدة زوايا لمعظم الطرق منها: الرفاعية، القادرية، الدسوقية، البدوية، الشاذلية وتجددت في المدينة بنزول الشيخ علي اليشطري الشاذلي على آل النمر، وعلى المفتي أحمد أبو الهدى في أثناء مروره لزيارة مدينة القدس، وقد صار لها أتباع في نابلس، وأوقفت لها الأوقاف، وقد بلغت الزوايا نحو 20 زاوية([3]).

شملت هذه الزوايا جميع الطبقات في نابلس، حتى الأمراء وكان الواحد منها يجاز بأكثر من طريقة، وكان لهذه الطرق أثرها الحميد في الناحية الدينية والخُلقية، ومن هذه الزوايا أيضا الزاوية الصمادية في الشيخ مسلم، والزاوية البسطامية في دار سفيان البسطامي، والزاوية الدرويشية وزاوية القدم في القريون، وزاوية العمري في القيسارية، والزاوية السعدية في الحبلة، وزاوية النوباني في الغرب، وزاويتا الخضرة والخضر، واللتين أصبحتا مسجدين، والزاوية الحارثية وهي نسبة للدرويش ابن الحارثية الذي سكنها وكانت قبل ذلك ديراً لكنيسة ثم مستشفى ثم ديواناً لخطيب الجامع الكبير الصلاحي، واستعملت في العصر الحديث ديواناً للتعازي لآل الخياط في محلة العقبة([4]).

([1]) اسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م4، وثيقة6355، عابدين محفظة259 رقم186، 28 ربيع الثاني1256هـ/ 26 آب 1840م، ص396

([2]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص76

([3]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص35

([4]) المرجع نفسه، 35

وقد ألفت نابلس مذاهب أهل السنة الأربعة(الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي)، وأشارت سجلات محكمة نابلس الشرعية أن القاضي في محكمة نابلس كان ينظر في القضايا التي تعرض عليه على المذهب الحنفي([1])، وكان لنزول الحنابلة في نابلس أثر واضح لوجود النهضة العلمية في المدينة إذ ظهر العلماء والمتعلمون، وأصبحت نابلس من أهم مناطق القاصدين لمراكز المذهب الحنبلي، فقد تنقل العلماء بين دمشق ونابلس مراراً، بالإضافة إلى اصطباغ نابلس في إحدى أدوارها بالعقيدة السلفية قبل ظهورها في نجد إذ كان يتم الاتصال بالشيخ محمد السفاريني النابلسي الذي كان كبير علماء الحنابلة في نابلس([2]).

وفيما يلي نماذج لبعض المعاملات والقضايا الدينية(الوصية، الميراث) التي كانت تعرض على الحاكم الشرعي، والتي هي بحاجة إلى أبداء الرأي والنظر بها على النحو التالي :

1- الوصية: وهي أن يقوم الوصي بكتابة وصية، أو القدوم إلى المجلس الشرعي ويقر بأنه أوصى بكذا من ماله إلى فلان وفلان، ويثبِّت ذلك في المجلس الشرعي، وقد ورد ذلك في أكثر من حجة في سجلات محكمة نابلس الشرعية، منها(...اشهد على نفسه كل واحد من المعلم خليل جاموس البنا وزوجته دلول بنت الداجوني في حال صحتهما وسلامة عقلهما علما بان الاختيار من غير اكراه لهما في ذلك ولا اجبار عالمين بمقتضى هذا الاشهاد الشرعي وما يترتب عليه شرعا بانه إذا واجههما الاجل المحتم قد أوصيا إلى إبراهيم بن ولدهما المرحوم إبراهيم بمثل نصيب نصيب ولد من أولادهما في جميع ما يتركانه بعد موتهما من ملك ونحاس وذهب وفضة وامتعة واثاث وملبوس وكامل ما يكون ملك لهما لا يشاركه في نصيبه مشارك ولا ينازعه فيه منازع ايضا صحيحا شرعيا صادقا من اهلها ولما كان المال على هذا المنوال سطر ما هو الواقع)([3]).

(حضر... السيد محمد افندي البسطامي وهو في صحته وسلامته وكمال عقله بالطوع والاختيار من غير اكراه في ذلك ولا اجبار ولا مانع بمنعه من صحة

([1]) محكمة نابلس الشرعية، سجل9، غرة ربيع الأول 1249هـ/ أواسط أيلول 1833م، ص75

([2]) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص32- 33

([3]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10، أواخر محرم1257هـ/ أواخر آذار 1841م، ص39

ذلك شرعا واشهد على نفسه انه أوصى لأولاد ولده السيد صالح افندي ذكورا واناثا بينهم على حسب العريضة الشرعية للذكر مثل حظ الانثيين بثلث مخلفاته من ذهب وفضة ونحاس ورصاص وعقار وامتعه وساير ما يترك عنه وصاية صحيحة شرعية صادرة منه بالطوع)([1]).

كان الحاكم الشرعي ينظر في أمر الوصية بناءً على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل عدم الوصية بالمال كله وإنما بمقدار الثلث، وذلك لعدم حرمان البقية من الميراث وحقهم الشرعي.

2- الميراث: كان حصر الميراث وقسمته بين الورثة من مهام المجلس الشرعي، حيث يتولى الحاكم الشرعي ضبط التركة للمتوفى وتوزيع الإرث على الورثة بالتساوي حسب التشريع الإسلامي، وقد تناولت السجلات الشرعية في نابلس عدداً وافراً من الحجج التي تعلقت بحصر الإرث أو ما كان يسمى (ضبط المتروكات)، وفي الحجة التالية استعراض لإحداى متروكات رجل توفي، وقسَّمها الحاكم الشرعي ضمن الأصول الشرعية :

(ضبط متروكات المرحوم اسعد كراوية المنحصر ارثه الشرعي في زوجته فطومه بنت التقوه بحق الثُمن وفي أولاده وهم مصطفى وزهره القاصرين وخديجة البالغة بحق الباقي وذلك بحضور قاسم آغا طوقان الوكيل الشرعي عن الزوجة حسبما وكلته بالمجلس وبحضور عبد الله كراوية عم القاصرين وبحضور صالح خملان الوكيل الشرعي عن زوجته خديجة البالغة حسبما وكلته بشهادة عبد الله كراوية ومحمد حماره ثبوتا شرعيا

وهذه	من ذلك
قنباز قطني 95	تجهيز وتكفين 180
قنباز قطني 45	رسم 43
قنباز قطني 40	مقومين 12
بشت حمصي 15	دين إلى محمد الحجاوي 45
قمصان ولباسات وطربوش 30	مؤجل الزوجة 372

([1]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10، 12ربيع الثاني1259هـ/ 10 تموز 1843م، 95

مصاري بذمة داوود الاكور 450	دين إلى محمد عبد الحفيظ 522
فضة وسير 90	يكون الخارج للورثة 371
نحاس مكسور 100	
نحاس صحيح 156	
بقية خردة 150	
الباقي 800 توزع	
يخص الزوجة 100	يخص زهرة 175
يخص مصطفى القاصر 350	يخص خديجة 175

وقبض كل منهم ما خصه، وما خص القاصرين تبقى تحت يد الوصي لأجل المرابحه الشرعية بمعرفة صالح خملان)([1]).

ومن الواضح أن الإرث بعد أن يتم توزيعه على الورثة ومستحقيه بالطرق الشرعية ينظر الى الورثة فإذا كانوا بالغين عاقلين فإن لهم مطلق الحرية في استثماره أو بيعه، وأما إن كانوا قاصرين فيعين لهم وصي بشهادة شاهدين، وفي النهاية سواء أكانوا بالغين أو قاصرين أوعليهم وصي فلهم الحق في التصرف بالإرث الذي آل إليهم بعد قرار الحاكم الشرعي قي توزيع الميراث بأن يستثمروه أو يبيعوه([2]).

واهتم النابلسيون كغيرهم من المسلمين بالمعاملات الدينية ومنها الإرث، وفي هذا الخصوص أصدر مجلس شورى القدس شرحاً وافياً لماهية الإرث في حالة عدم وجود وارث، أو في حالة الوصية التي يوصي بها صاحب الشأن في حياته على النحو التالي([3]):

([1]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 14 ذي الحجة 1259هـ/ 5 كانون أول 1844م، ص103؛ انظر محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 9 محرم 1261هـ/ 18 كانون ثاني 1845م، 133

([2]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10، 14 ذي القعدة1255هـ/ 19 كانون ثاني 1840م، ص4

([3]) أسد رستم، الأصول العربية، م5، وثيقة566، 15 جمادى الآخرة1256هـ/ 16 حزيران 1840م، ص162- 163

أ- إذا لم يكن للمتوفى وارث سواء من الأهالي أو من الأغراب أو من العسكر، تكون متروكاته شرعاً لبيت مال المسلمين(خزينة الدولة)، وذلك بعد إخـــراج ثمـــن التجهيز والتكفين للمتوفى.

ب- إذا كان المتوفى قد أوصى بشيء في حياته وثبتت وصيته بالوجه الشرعي فعندها تخرج الوصية من أصل المتروكات، وما يبقى فهو لبيت مال المسلمين.

وعلى الرغم من العداء الذي كان قائما بين إبراهيم باشا وآل القاسم بـــسبب قيادتهم لثورة أقلقت بال إبراهيم باشا ووالده محمد علي باشا إلا أنه قام بتوزيع إرث قاسم الأحمد وإرث ولديه محمد القاسم ويوسف القاسم على الوجه الشرعي إذ طُبقت الشريعة الإسلامية بصفائها ونقائها دون ضيم، وكانت تركة محمـــد القاســـم التـــي ضبطها قاضي القدس علي راتب(ثمانية آلاف غرش وثلاث ماية غـــرش ووجـــدتم جاريتين سود وجارية بيضه وثلثين دار ودكان وجميع ما شرحتموه)([1]).

أما النساء المسلمات في نابلس فكنَّ ملتزمـــات بتعـــاليم الـــدين الإســـلامي الحنيف، وورعات، وحافظات لفروجهن ملازمـــات لبيـــوتهن وتربيـــة أبنـــائهن، إذ وصفهم القرطبي نقلاً عن ابن العربي في معرض حديثه وتوضيحه لقولـــه تعـــالى: (وقَرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)([2])، (قال ابـــن العربـــي: لقـــد دخلت نيفاً على ألف قرية، فما رأيت نساءً أصون عيالاً ولا أعف نساء مـــن نـــساء نابلس التي رمي بها الخليل صلى الله عليه وسلم بالنار، فاني أقمت فيها فما رأيـــت إمرأة في طريق نهاراً إلا يوم الجمعة فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعـــة الأخرى)([3]).فقد كان النابلسيون ملتزمين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فـــي عباداتهم ومعاملاتهم.

([1]) أسد رستم، الأصول العربية، م2، وثيقة161، 13 ذي الحجة 1250هـ/ 12 نيسان 1835م، ص165- 166

([2]) سورة الأحزاب، الآية (33)

([3]) القرطبي أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج14، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص117- 118

الحج الشامي: لقد اهتمت الدولة المصرية بالحج إلى مكة المكرمة، وتزويد الحجاج الشاميين بالمُؤن، وتوفير الأمن لهم للوصول إلى مكة المكرمة، وكذلك عودتهم إلـــى مدنهم وقراهم آمنين.

ولم تكن ايالات الشام جميعها مأمورة لخدمة الحج الشامي بل المأمور لتلك الخدمة هما لوائي القدس ونابلس([1]) إذ خصص مال ميري نابلس والقــدس لجــردة الحج والصرف على الجنود الذين يذهبون مع أمير الحج، ومنهم آلاي نابلس. فكــان أمير الحج أو وكيله يخرج بالركب من دمشق ويدور على الألوية الغربية: نـــابلس، والقدس، والخليل، ثم ينزل من الخليل إلى وادي القلت، فجماعية حسبان حيث يلتقي مع باقي الحجاج، ويسير بالركب فإذا لم يحصِّل المبلغ أو بعضه يكتب أمير الحـــج إلى والي عكا يستنهض همته لتحصيل المبلغ، فسميت هذه بالدورة، وســـمي وكيــل أمير الحج الذي يدور في الألوية من أجلها باشا الدورة، وبمـــا أن هــذه الحاجــات والمهمات هي لآلاي نابلس وللركب فان تحضيرها وشراءها إنما يكون بمعرفة أمير الآلاي، وهو يحاسب عليها المتسلم وكاتب السراي، وحينما يأتي باشا الدورة أو أمير الحج يحاسب عليها من ضمن المال، وهكذا كل سنة ولهذا أطلقوا على ميري جبــل نابلس مال الدورة([2]).

أما بالنسبة لخط سير الحجاج فعلى الحجاج النابلسيين أن يكونوا على أهبــة الاستعداد للسفر حينما ينزل باشا الدورة في منزل نابلس، ويكــون فــي رجــب أو شعبان، وعلى الغالب في رمضان كي يتحرك الركب مع أميره وآلايات الجردة فـــي شوال ثم يسير الركب من نابلس، إلى القدس، فالخليل، ومنهـــا إلـــى غـــور الأردن والكرك، ويصعد إلى جماعية حسبان حيث يلتقي بأمير الحج، ثم يتقدمون إلى معان حيث يسيرون من الداخل إلى مدائن صالح، فالعلا، فالمدينة المنورة، فمكة المكرمة. ثم يعودوا بذات الطريق الذي سلكوه في ذهابهم. فقد كان السفر لأداء فريضة الحـــج من أشق الأمور وأخطرها إذ يستغرق من4- 7 أشهر فالحاج معرضاً لخطر تقلــب

([1]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م1، وثيقة203، بحر بر محفظة11 رقم86، 1241هـ/ 1825م، ص75

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص270

المناخ من المعتدل إلى الحار والجاف بالإضافة إلى تهديدات فقدان الأمن على الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة([1]).

النصارى: شكل النصارى نسبة قليلة من عدد السكان في مدينة نابلس، وقبل قيام حكومة محمد علي في بلاد الشام لم يكن يقاس المسلم بالذمي، أما حكومة محمد فساوت بين رعاياها المختلفي الأديان والمذاهب، وساوت بينهم في دفع الضرائب، ولم تفرق بينهم في شيء سوى تكليف المسيحيين دون المسلمين بدفع الخراج، لكنها كلفت المسلمين القيام بالخدمة العسكرية، ولم تكلف بها المسيحيين، وقد تجاوزت حكومة محمد علي في بلاد الشام حد المساواة بين المسلمين والمسيحيين في أمر التسليح، فبعد أن كانت قد جمعت وفرضت جمع السلاح من سكان بلاد الشام عادت سنة1838م فسلَّحت النصارى لتستعين بهم على مقاتلة الدروز([2]).

ضيق العثمانيون قبل الحكم المصري كثيراً على المسيحيين الإفرنج والوطنيين، فكان الوافدون منهم الى بلاد الشام قليلي العدد، ولا يستطيعون التجوُّل فيها إلا وهم مرتدون الملابس الوطنية، أو تحت حراسة الجند، وعندما عينت بريطانيا قنصلاً لها في دمشق وهو(المستر فرن) سنة1829م لم يستطع دخول دمشق، وبقي في بيروت مدة طويلة إلى أن احتل إبراهيم باشا مدينة دمشق سنة1832م فأذن حينئذ للقنصل الجديد بالذهاب إليها، فدخل المدينة باحتفال مهيب ولم يجرؤ أحد من الأهالي أن يبدي أي تذمر أو اعتراض لان إبراهيم باشا كان يحكم البلاد حينئذ بيد من حديد([3]).

اعتمد إبراهيم باشا على المسيحيين في أكثر مناطق بلاد الشام، وذلك للأسباب التالية([4]):

1- اعتماده عليهم في الإدارة، كما اعتاد في مصر، لأن محمد علي كان يرى أن المناصب الكبرى في الدولة يجب أن تكون من نصيب الأتراك أو من نصيب المسيحيين؛ فكان كثيرٌ من الكتبة والإداريين من النصارى.

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، 322

([2]) سليمان أبو عزالدين، إبراهيم باشا في سوريا، ص314

([3]) المرجع نفسه، ص314- 315

([4]) مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية، ص17- 18

2- قيام المسيحيين بالخدمة في حكومته بإخلاص، بسبب جو الحرية والتسامح والمساواة الذي أعطاه للطوائف الدينية، إضافة إلى إلغاء إبراهيم باشا الحظر المفروض على الطوائف غير المسلمة، والذي أوجده سابقيه كتحريم ركوب الدواب أواقتناء الجواري أولبس العمائم وسواها، ويذكر أن أول شخص غير مسلم حصل على لقب(بك) كان حنا بحري نظراً لخدماته في حكومة محمد علي وإبراهيم باشا في بلاد الشام.

3- تأييد المسيحيين دخول قوات إبراهيم باشا لبلاد الشام، ومساعدته ودعمه.

4- اعتماد إبراهيم باشا على قوات عسكرية أجنبية مسيحية في جيشه جعله يعتاد التعامل مع المسيحيين في بلاد الشام.

ردد إبراهيم باشا مراراً أن المسلمين والنصارى جميعهم رعايا الدولة وأمر المذهب ليس له تأثير في نوع السياسة ونهجها؛ فقد سار الرعايا جميعهم في الدولة المصرية المسلم والنصراني واليهودي بحكم واحد([1]) وعُدّ حكم إبراهيم باشا في بلاد الشام عصر التنوير والإصلاح فكان الذمي قبل أيام حكمه لا يعد نفسه من الآدميين، ولكن عندما عمَّ العدل والمساواة خطا النصارى خطوات واسعة في ميدان الحضارة، ونشطوا في القيام بالأعمال([2]) إذ اظهر إبراهيم باشا كل حب وانشراح خاطر تجاه النصارى([3]).

وقد شهدت مدينة نابلس العداء الشديد بين المسيحيين والسامريين، فما أن انتشرت المسيحية في المدينة حتى عم العداء مع اليهود السامريين الذي كانوا السباقين الى الإقامة في المدينة منذ زمن بعيد، ونتيجة لقتل السامريين عدداً من المسيحيين قام الإمبراطور (زينو Zeno) بطردهم من جبل جرزيم، وبنى على قمة الجبل كنيسة مريم العذراء، وبعدها تمكن السامريون من الرجوع إلى نابلس، وقتلوا أهلها وكهنتها، ودمروا القرى، إلا أن الرومان قد أعادوا الكرة عليهم وبنوا قلعة وجدار لكنيسة مريم العذراء([4]).

([1]) لطيفة سالم، الحكم المصري في الشام، ص256
([2]) مؤلف مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، ص45
([3]) مؤلف مجهول، حروب إبراهيم باشا، ج2، ص10
([4]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص16؛ انظر عبد الله كلبونة، تاريخ مدينة نابلس، ص32

عاش في مدينة نابلس جماعات قليلة من النصارى، فقد أشارت سالنامة ولاية بيروت لسنة1322هـ: 1320هـ مالية عثمانية وفق سنة1904م أنه يوجد في مدينة نابلس من النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم أرثوذكس ولاتين وبروتستانت، وكانت أعدادهم وفق الجدول التالي([1]):

جدول رقم(5)

أعداد النصارى القاطنين في نابلس على اختلاف مذاهبهم

المذهب	ذكور	إناث	المجموع
أرثوذكس	462	410	872
لاتين	192	155	347
بروتستانت	195	198	393

كانت الغالبية العظمى من نصارى نابلس من الروم الشرقيين أتباع الكنيسة الشرقية، وظهر إلى جانبهم أقلية من الكاثوليك أتباع الكنيسة الغربية وهؤلاء عُرِفوا باللاتين؛ فبعد أن اصطدم أسعد سروفيم بالبطريرك غيَّر مذهبه وتمذهب بالمذهب الكاثوليكي وعمَّدَ أولاده، وقد تبعه على ذلك أقاربه وعائلات أبي ليصة، وسوداح، والموج، الذين اشتروا قطعة أرض من الشيخ إبراهيم القطب سنة1868م وبنوا عليها ديراً باسم دير اللاتين، وقد اعترف بهم رسمياً، وشاركوا في مجلس الإدارة إلى جانب الروم، وتمكن المبشرون البروتستانت الالمانيون والبريطانيون من إجتذاب عائلات طقطق، وعبد النور، وكفينا فتمذهبوا بالبروتستانتية، واشتروا قطعة أرض من السيد عاهد أبو غزالة وبنوا عليها مستشفى الإرسالية في الجهة الغربية من نابلس سنة1900م، وبمساعي الدكتور جميل طقطق تم إيجاد وقف لطائفة البروتستانت العرب([2]).

لقد عاش النصارى في النصف الأول من ق19م في أمن وسلام مع أخوانهم المسلمين، وكانت فيما بينهم معاملات تجارية، فقد امتلك بعض النصارى ثروات كبيرة في نابلس، وكان بعضهم كفلاء على الملتزمين من طرف الدولة،

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص78

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص37 -38

وأرسل صالح باشا والي الشام إلى الحاج مصطفى آغا متسلم نابلس سنة1243هـ/ 1827م مرسوماً برفع الضرائب التي ابتدعها على الكنائس، وطلب منه الإحسان لهم، وتوفير مزيد من الحماية لهم، وفي بعض الأحيان كان متسلم نابلس يرسل بعض جنوده لحراسة النصارى العائدين من مدينة القدس وتأمين عودتهم، وهذا لا يعني أنه لم تقع بين المسلمين والنصارى بعض الخلافات الرتيبة التي عرضت على الحاكم الشرعي([1])، ولكن الطابع الغالب على العلاقة بينهما كان الإحسان والود ونتيجة للمعاملة الحسنة التي تلقاها النصارى في نابلس أعلن مجموعة من النصارى إسلامهم أمام الملأ كما أشارت سجلات محكمة نابلس الشرعية([2]).

وقد شغل النصارى عدة أعمال في نابلس، فكان سليمان القره كاتب عبد الفتاح آغا النمر نصرانياً، وقد استفاد عبد الفتاح آغا الكثير من وجوده، إلا أن بعض وجهاء نابلس طلبوا تحويل هذه الفائدة إلى شاب مسلم، فوفدوا الى ديوان عبد الفتاح آغا ومعهم شاب يدعى شكري الصفدي، فأوقفوا القهوه، وقالوا له: (أخرج هذا الكافر[سليمان القره] وعين هذا المسلم [شكري الصفدي]) فغضب عبد الفتاح آغا، وقال لهم: (هذا كاتب لمصالحي مش إمام لصلاتي) فخرجوا حانقين([3])، يعكس هذا التصرف مدى الأرض الثابتة التي كان يقف عليها النصارى في نابلس من قِبل إخوانهم المسلمين الذين انتفى من قلوبهم نبذ الطوائف الدينية الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة المصرية دعت إلى تأمين وتطمين النصارى الماكثين في بلاد الشام، فطلبت من الموظفين الإداريين وعلى رأسهم المتسلمين بتأمين (كمال الراحة والرفاهية والحماية والصيانة للرعايا من كل وجه واذا حصل على احد منهم تعدي أو مطاوله من طرف رعايا الاسلام فالمعتدي يحصل له القصاص بدون مسامحه... ونخبر متسلمنا انه يلزم منك دائماً تكون متنبه ومتيقظ بهذه المأمورية وتعتني بها جل الاعتنا ويكون لك رقباء وجواسيس داخلا وخارجا بالسر والعلن والذي يبدى منه ادنى تعدي بالحال يجري قصاصه بحسبما يليق به ويستحق بدون مسامحه ومعاذ الله تعالى اذا طرق مسامعنا انه اذا حصل من

([1]) أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر، ص58

([2]) محكمة القدس الشرعية، سجل 319، 6 جمادى الآخرة1250هـ/ 12 آب 1834م، ص32

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج3، ص23- 24

احد رعايا الاسلام على احد رعايا النصارى تعدي وتغاضيتم عن قصصه فلا يعود العذر مقبول لدينا ولا بوجه من الوجوه ودائما تكونوا باذلي غاية جهدك براحة الرعايا واحوالهم من كل وجه...)([1]).

وكان للنصارى في نابلس أحوال وعادات خاصة بهم، إذ كانوا يضعون على رؤوسهم عمائم سود كالأقباط، ولم تكن الكلوسة معروفة، أما سائر النصارى فما كان يوجد فارق بينهم وبين المسلمين إذ لم يختلفوا عنهم في المظاهر والعادات فكانت نساؤهم ترتدي الحجاب، ولم يأكلوا لحم الخنزير، ولم يتعاطوا المسكرات، بالإضافة إلى إخلاصهم للمسلمين في معاملاتهم، وكان اتصالهم بالأجانب مقتصراً على القناصل وغيرهم من الموظفين، فما اختلف النصارى مع المسلمين في نابلس سوى ما يخص العبادة والعقيدة، حتى أنهم استخدموا التاريخ الهجري عوضاً عن الميلادي في المكاتبات والمعاملات([2]).

السامريون: زخرت كتب التاريخ، ومدونات الرحالة العرب والمسلمين بالحديث عن وجود السامريين في مدينة نابلس، فقال القلقشندي:(نابلس مدينة السامرة، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد إلا بها، وبها الجبل الذي يحج إليه السامرة)([3])، وجاء عند مجير الدين الحنبلي أن (بنابلس كثير من السامرة، فإنهم يعتقدون أن القدس جبل نابلس، وقد كذبوا وخالفوا جميع الأمم في ذلك)([4])، أما الاصطخري قال: (نابلس مدينة السامرة، يزعمون أن بيت المقدس هو نابلس، وليس للسامرة مكان من الأرض إلا بها)([5])، وكذلك أورد ابن حوقل:(نابلس مدينة السامرية، ويزعم أهل بيت المقدس ان ليس بمكان من الأرض سامري إلا منها أصله)([6])، وأوضح المقدسي أماكن تواجدهم فقال: (والسامرة من فلسطين إلى طبرية، ولا توجد فيه مجوسياً ولا صائباً مذاهبهم مستقيمة أهل جماعة وسنة)([7]).

([1]) أسد رستم، الأصول العربية، م5، وثيقة611، 17 شوال1256هـ/ 11 كانون أول 1840م، ص253- 255

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص45

([3]) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج4، ص107

([4]) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، م2، ص137

([5]) الاصطخري، المسالك والممالك، ص44

([6]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص172

([7]) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص179

وصف الإدريسي سبب ارتباط السامريين بمدينة نابلس، وذلك بقوله: (نابلس مدينة السامرة وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام، وبها جلس السيد المسيح، وطلب من المرأة السامرية الماء ليشرب، وعليه الآن كنيسة حسنة يزعم أهل بيت المقدس أن السامرية لا يوجد أحد منهم إلا بهذه المدينة)([1]).

يُستنتج من هذا العرض التاريخي أن نابلس هي المدينة التي احتوت طائفة السامريين وانحصر وجودهم فيها، وكانت هذه الطائفة منصهرة مع المجتمع النابلسي المسلم داخل المدينة، غير منعزلة عن المسلمين بحكم القدم في التعايش التاريخي فيما بينهم، فانعكس ذلك على اختلاطهم بالسكان في عدة معاملات تجارية وصناعية وحرفية، ويُستدل على ذلك بقول شيخ الربوة: (إذا اجتمع في طريق مسلم ويهودي وسامري ونصراني رافق السامري المسلم)([2]).

وعلل ياقوت الحموي ارتباط السامريين بنابلس، وكثرة وجودهم فيها يعود الى أنه يوجد(بظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه وعندهم أن الذبيح اسحاق عليه السلام، ولليهود في هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون وأسمه كزيرم[جرزيم] وهو مذكور في التوراة، والسمرة تصلي إليه، وبه عين تحت كهف يعظمونها ويزورها السمرة، ولأجل ذلك كثرت السمرة بهذه المدينة)([3])، ويضيف شيخ الربوة أن السامريين يقدمون القرابين على (الطور[جرزيم] ويذبحون الخرفان ويحرقون لحومهم ولا توجد في بلد من البلدان من السامرة ما يوجد منهم بها، ويقولون: أنهم لا يبلغون في بلد منهم الألف أصلاً)([4])، وجبل جرزيم الذي ذكره ياقوت يقع جنوب نابلس، والذي سمي بذلك نسبة إلى أول قبيلة عربية كنعانية سكنت نابلس، وهي قبيلة الجرزيين، كما سمي هذا الجبل باسم جبل الفرائض لكثرة الفرائض الدينية التي يؤديها السامريون عليه([5]).

([1]) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م1، ص356

([2]) شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص268؛ انظر مؤلف مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، ص20

([3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص248؛ انظر مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص104

([4]) شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص267- 268

([5]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص13

في سنة1163م زار مدينة نابلس السائح اليهودي الاسباني(بنيامين التودلي Benjamin of Tudela)، وقال ان فيها نحو1000 سامري([1])، وذكرت ســالنامة ولاية بيروت لسنة1322هــ: 1320هــ مالية عثماني وفق سنة1904م أنه يوجد في نابلس من السامريون94 ذكراً و71 إنثى أي ما مجموعه165 ســامرياً([2]). فطائفــة السامريين صغيرة العدد بالنسبة للطوائف الدينية فهي اصغر طائفــة فــي العــالم، ويرجع ذلك لأنهم يتقيَّدون بتضييق الزواج على طائفتهم فقط، ولنذر بعض الأيــامى بعدم الزواج بعد موت الزوج. أما فقر حالهم فمرده الى قلة أعمــالهم، لأن ربعهــم كُهَّان لا يتعاطون أشغالاً، وهم يعطلون أوقاتاً كثيرة في الأعياد، ويتواجد السامريون أيضا في قرية أجنسنيا الواقعة على مقربة من نابلس([3]).

أما عن أصل تسميتهم فتتضارب الآراء حول أصل السامريين، فمنهم مــن يرى السامريين هم الإسرائيليون الأصليون، وأنهم ينتسبون في أرومتهم إلى يوســف الصديق([4])، وينتسب كهنتهم إلى(لاوي)، ويعتقدون أن اليهود انشقوا عنهم، وخــالفوا الأمم الأخرى، وأن لغتهم هي اللغة العبرانية القديمة، وأن اسمهم هــو(شــامرون أو شامرم)، التي تعني: المحافظون على الديانة القديمة، الذين بقوا أمنــاء مــن بنــي اسرائيل([5])، وسبب تسميتهم بالسامرية نسبة إلى مدينة السامرة وهي (سبسطية) التي كانت في وقت ما عاصمة وكان قد اشتراها (عمري) ملك إسرائيل من رجل اســمه شامير، والسامريون لا يقرون القول بأنهم عراقيون([6]).

ويعتقد البعض الآخر أن سبب التسمية حسب ما جــاء فــي مخطــوطتهم التاريخية المحفوظة لديهم أن شخصاً اسمه سامر اشترى مدينة سبسطية، وبعــد أن أقام وأهله فيها تعرضوا للغزو البابلي بقيادة (نبوخذ نصر) الذي احتل المدينة ونفــى

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص112

([2]) المرجع نفسه، ص78

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص51

([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص249

([5]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص56

([6]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص46؛ انظر الموسوعة الفلسطينية، م4، 416- 417؛ انظر كل مكان وأثر في فلسطين، ترجمة عيد حجاج، ج2، ص739

سكانها الإسرائيليين إلى بابل، ودعاهم بالسامرة نسبة إلى سامر الذي اشترى المدينة وقام ببنائها([1]).

وأشارت الموسوعة الفلسطينية الى أن السامريين جماعة من اليهود اشتق اسمهم من السامرة([2]) عاصمة مملكة إسرائيل القديمة التي كانت تقع إلى الشمال من شكيم(نابلس)، ويبدو أن أعضاء هذه الجماعة هم البقية الباقية من يهود مملكة إسرائيل الذين لم يرحِّلَهم الغزاة الآشوريون مع من رُحِّل من اليهود سنة21 ق.م، وقد تزاوجت هذه البقية مع المستوطنين الجدد الذين جاء بهم الآشوريون، وحينما عاد اليهود من السبي البابلي رفضوا إشراك يهود السامرة معهم في إعادة بناء الهيكل، ولذا أنشأ هؤلاء في ق4 ق.م هيكلهم الخاص على قاعدة جبل جرزيم(الطور)([3])، وذهب البعض الآخر من المؤرخين الى أن السامريين عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى سكناهم في أنحاء السامرة، وأنهم ليسوا يهوداً أو من أسباط بني إسرائيل، وإنما هم بقايا من الشعوب الوثنية المختلفة المنابت من بابل([4])، وكوثى([5])،

([1]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص56

([2]) السامرة: مدينة في فلسطين تقع على بعد6 أميال من الشمال الغربي لمدينة شكيم(نابلس)، بنيت في عهد عمري بن أخاب(876- 869 ق.م)، وأطلق عليها اسم السامرة نسبة الى شامر صاحب الجبل الذي اشترى منه المدينة، وجعلها سنة870 ق.م عاصمة لمملكة بني اسرائيل، ويذكر ان المملكة العبرانية انقسمت في سنة922 ق.م الى مملكتين: الأولى في الشمال، وهي مملكة اسرائيل وتمتد من سنجل الى أقصى نقطة في شمال البلاد المقدسة، وكانت عاصمتها في البداية شكيم، والثانية في الجنوب، وهي مملكة يهوذا، وتمتد من سنجل الى أقصى نقطة في جنوب الأرض المقدسة، وعاصمتها أورشليم، وأطلق اسم السامرة أيضا على مملكة اسرائيل، وقد حدد المؤرخ اليهودي جوزيف يوسيفوس المتوفى سنة 100م إقليم السامرة أيام المسيح عليه السلام بانه يضم وسط فلسطين، ويقع بين الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب، على انقاض مدينة السامرة قرية سبسطية إحدى قرى مدينة نابلس؛ عدنان ملحم، أوضاع الطائفة السامرية في مدينة نابلس من خلال كتاب ولاية بيروت لمحمد رفيق التميمي ومحمد بهجت دراسة تاريخية منهجية، مجلة جامعة النجاح، م16، نابلس، ربيع الاول1423هـ/ حزيران2002م، (ب.ع)، ص198؛ سيشار اليه فيما بعد عدنان ملحم، أوضاع الطائفة السامرية؛ انظر الموسوعة الفلسطينية، م4، ص417

([3]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص529

([4]) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحِلة بالعراق، وهي عاصمة البابليين، ويقال إن أول من سكن بابل نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها وذلك عقب الطوفان. خربها الاسكندر وتقع خرائبها بالقرب من الحلة على الفرات؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص309- 310

([5]) كوثى: سواد العراق بارض بابل، وسمي نهر بالعراق باسم كوثى، وهو أول نهر أخرج بالعراق، وكوثى العراق كوثيان أحدهما كوثى الطريق والآخر كوثى رَبّى، والكوثيان من أرض بابل، وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ومولده، ويقال ان بها طرح ابراهيم بالنار، وهما ناحيتان وكوثى العراق سُرة السواد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م3، ص487- 488

وعوا([1])، وحماة([2])،وسفروائيم([3]) كان قـد أسـكنهم الملـك الآشـوري سـرجون الثاني(722– 705ق.م) منطقة السامرة على إثر غزوه لها سـنة722ق.م، ونفيـه لجزء كبير من سكناهم إلى آشور، وقد امتزجت دماء الشعوب الجديـدة مـع أهـل البلاد، ونتج عن هذا المزج والاختلاط مجتمع السامريين، والذين انتسبوا إلى اليهود رغبة بالتشرف والعلو رغم تبرؤ اليهود منهم([4]).

ليس لدى السامريين تواريخ لعهودهم القديمة والمعروف أنهم ثاروا علـى اليونان والرومان فاضطهدوهم اضطهاداً عظيماً، ولما فتح الإسلام الـبلاد تنفـسوا الصعداء، فقد عاملهم المسلمون معاملة حسنة، ونعموا بالسماحة الإسـلامية، لكـن عندما احتل الصليبيون فلسطين بطـشوا بهـم، وشـردوهم فـي الـبلاد، وحتـى سنة1035هـ/ 1626م لم يكن في العالم سوى6 أسر متفرقة هـي فـي: مـصر، ودمشق، وغزة، وصرفند، ونابلس، وعورتا فقام الكاهن صدقة بن غزال بجمعهـم، وهذه الأسر هي: صدقة في نابلس، والطيف وصراوي في دمـشق، ومفـرج فـي صرفند، والمطري في غزة، والكهان في عورتا، وقد انتقلوا جميعاً ما عـدا أسـرة المطري فإنها ظلت في غزة إلى أن انقرضت، ومنذ هـذا التجمـع بـدأ تـاريخهم الحديث، وهو تجديد وضخ دماء جديدة لنسل هذه الطائفة([5]).

على الرغم من أن السامريين طائفة يهودية فان ثمـة هـوة عميقـة مـن الخلافات الدينية تفصلهم عن بقية اليهود، فهم لا يؤمنون إلا بأسفار موسـى عليـه السلام الخمسة(التكوين، التثنية، العدد، الخروج، اللاويون)([6])، ويضاف إليها أحيانـاً سفر يوشع بن نون، ولا يعترفون بالأنبياء اليهود، ولا بالكتب الـسماوية الأخـرى

([1]) عوا: يرجح البعض على انها بلدة هيت الواقعة على نهر الفرات قرب بغداد في العراق، عدنان ملحم، أوضاع الطائفة السامرية، ص198

([2]) حماة: مدينة كبيرة كثيرة الخيرات في سوريا ممتلئة الأسواق وبها جامع مشرف على نهر العاصي عليه عدة نواعير تستقي بالماء من العاصي فتستقي بساتينها وتصب الى بركة جامعها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص300- 301

([3]) سفروائيم: مدينة على الفرات يظهر انها كانت تقع بين بلدتي هيت وبابل؛ عدنان ملحم، أوضاع الطائفة السامرية، ص198

([4]) المرجع نفسه، ص197- 198

([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص46- 47؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص258

([6]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص48

ويعتبرونها من صنع البشر، وقد سنَّ اليهود القوانين التي تحرم الاختلاط بالسامريين أو الزواج منهم([1]).

أما شروط العقيدة الدينية الأصلية عند السامريين، وأركانها فهي خمسة([2]):

1- الاعتقاد بالوحدانية بالله.

2- نبوة حضرة موسى.

3- إن التوراة كتاب منزل.

4- إن جبل جرزيم هو القدس.

5- إن اليوم الآخر، أي الدينونة واقع.

أما بالنسبة للطهارة والصلاة فإن السامريين يتوضئون قبل الصلاة ويغتسلون من الجنابة والحيض والنفاس ويصلّون في الصباح والمساء بركوع وسجود متجهين نحو جبل جرزيم(الطور) الذي يحجّون إليه كل عام، وهم يحرمون العمل يوم السبت، ولا يقبلون في بيوتهم زائراً([3])، وينصبوا خيامهم على جبل جرزيم حيث يمكثون ثلاثة أسابيع فيه، ومن دواعي فخر جبل نابلس اعتدال سكانه أنهم حموا السامريين وحافظوا على سلامتهم، وهم في حجهم على ظهر جرزيم ثلاثة أسابيع في السنة دون أن يعترضهم أحد([4]).

ويؤمن السامريون بمجيء المهدي، ويجهلون وقت ظهوره، ولكنهم يعتقدون أن للمهدي علائم هي: إظهاره كلمة الله، ونقله لعصاة موسى ولألواحه العشرة، وإحضاره قدرة المن وهي الحلوى الإلهية المعرفة. وللسامريين فرائض وهي: الصلاة والحج والصوم والزكاة([5]).

الصلاة: وهي فريضتان: فريضة الصبح وتمتد من الفجر الى طلوع الشمس، وفريضة المساء وهي من غروب الشمس إلى ما بعدها بنحو ثلاثة أرباع الساعة، وصلاتهم تتألف من السجود والقيام والركوع، ولا تزيد مدتها عن خمسة دقائق وليوم

([1]) الموسوعة الفلسطينية، م2. ص529

([2]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص142؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص263

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص48- 49

([4]) المرجع نفسه، ص514- 515

([5]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص142- 143

السبت صلاة خاصة تقام وقت الظهر وتمتد45 دقيقة تقريباً، وأما صلاة الصبح فيه فتمكث ثلاث ساعات، وصلاة المساء نصف ساعة، ومن شروط الصلاة عندهم الوضوء وهو يشبه وضوء المسلمين غير أنهم يغسلون أيديهم للرسغين باستثناء العمال الذين يشتغلون بأيديهم وهي عارية فهؤلاء يغسلون أيديهم للمرفقين([1]).

الحج: يتخذ الحج عند السامريين ثلاثة أشكال، هي([2]):

أ- حج الفصح: ويمتد مدة7 أيام توافق من البدر من شهر نيسان، ويذبحون فيه ذبيحهم، ويقيمون في هذه المدة فوق جبل جرزيم.

ب- حج الأسابيع: ويقال له حج الحصيدة، ومدته50 يوماً، ويقع في الشهر الثالث من السنة، وفي آخر يوم من أيام هذا الحج يصعدون للجبل فيؤدون صلاتهم، ثم يعودون لبيوتهم.

ج- حج العريش: ويمتد مثل حج الفصح مدة7 أيام توافق أيام البدر من شهر تشرين الأول أي الشهر السابع ومن أشهر سنتهم، وتقيم كل عائلة تحت مظلة أو (عريشة)، وفي أول يوم يصعدون للجبل فيؤدون صلاتهم ثم يعودون إلى بيوتهم.

الصوم: إن صوم السامريين هو الإمساك عن الطعام والشراب24 ساعة على الصغير والكبير مع الإمتناع عن النوم، حيث يقضوا هذه المدة بالعبادة والطاعة، فالشريعة السامرية تقضي بإعدام كل من لا يصوم([3]).

الزكاة: وهي عبارة عن إعطاء واحد في العشرة من الأرباح إلى الكاهن أو الفقير([4]).

ويوجد عند السامريين مسألة الطريف والقشر، فلا يجمعون بين اللحم واللبن والزبدة ولا يأكلونها معاً. فإذا أكلوا لحماً فلا يجوز لهم أكل اللبن إلا بعد6 ساعات، وإذا أكلوا لبناً فلا يأكلون اللحم قبل مرور3 ساعات، ولا يأكلون اللحم إلا

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص264

([2]) المرجع نفسه، ص265؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص144

([3]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص145؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص49؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص264

([4]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، وتحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص145

إذا كان مذبوحاً من قبل أُناس معينين، وكان الحجاب متبع لدى السامريين، ويجوز الزواج ثانية على المرأة العقيمة، أو المريضة، أو ذات العيب الشرعي([1]).

كانت علاقة السامريين بغيرهم شبه مقطوعة فلم يمتزجوا بغيرهم لتقيدهم بمأكلهم، فلا يأكلون من أكل غيرهم. أما ما خلا ذلك فإنهم يتكلمون اللغة العربية ويرتدون ملابساً كملابس النابلسيين باستثناء الكهان، فإنهم يضعون عمائم حمراء، ولا يحلقون شعورهم بل يجدلونها وراء رؤوسهم، وكان لهم شأن؛ إذ كان منهم ترجمان السراي من عائلة الطيف، وهو في الوقت ذاته كاتب المتسلم وأمين المهمات، وقد توالت هذه الوظيفة فيهم، وقد عاشوا بسلام في ظل السكان المسلمين النابلسيين، فقد كان أمراء البلاد يحمونهم ويحفظون لهم حقوقهم من أي اعتداء أو مظلمة([2]).

كان للسامريون ثلاثة ألسن هي: الآرامية([3])، والعبرانية التي يستعملونها في صلواتهم، والعربية وهي لغة التواصل والحديث بينهم، وفي حوزتهم ترجمة عربية للتوراة([4])، والشهور عند السامريين هي الشهور القمرية، ومنها ما يكون30 يوماً ومنها ما يكون29 يوماً، ويسمون الأشهر عندهم بالعدد الأول، والثاني، والثالث...إلخ([5]).

يحرِّم دينهم صناعة وبناء الهياكل والرسوم فبعد أن كان السامريون عبدة أصنام حينما كانوا في بابل- كما ذكر آنفاً- حتى أنهم عندما انتقلوا لأرض السامره كان لكل قبيلة منهم صنم خاص، ولا ريب أنه كان للسامريين في ذلك الحين هياكل ومعبودات غير أنهم لما استوطنوا أرض السامرة، ودخلوا في الديانة اليهودية وجب عليهم أن يتبعوا كافة تعاليم الديانة اليهودية ضد الصنمية، ومنذ ذلك الحين لم يبقَ

([1]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص145
([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص50
([3]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص157
([4]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص530
([5]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص149

للسامريين هيكل ولا رسم([1])، ويقيم أفراد الطائفة السامرية في بيوت صغيرة قد ألصقت ركبتيها بالأرض للتقديس حول المعبد([2]).

ومما تجدر الإشارة إليه أن أعضاء جماعة السامرية بحكم تكوينهم الديني ليسوا من اليهود الصهاينة، فهم لا يعترفون بقدسية جبل صهيون؛ فجبلهم المقدس هو جبل جرزيم(الطور) كما أنهم لا يؤمنون بداود وسليمان، وإن كانوا يؤمنون بالمسيح المخلِّص الذي سيعود إلى جبل جرزيم لا إلى جبل صهيون([3]). وقد أقتبس السامريون من المسلمين، واقتبس المسلمون منهم في نابلس على توالي الأيام كثيراً من العادات واللهجات([4]).

اليهود: أشارت سالنامة ولاية بيروت لعام1322هـ: 1320هـ مالية عثمانية، وفق سنة1904م أن عدد اليهود في نابلس54 يهودياً([5])، وهو عدد قليل ومتدنٍ بالنسبة للطوائف الدينية التي سكنت مدينة نابلس، وقد كانت حالة اليهود مستقرة وآمنة في المدينة إذ لم تذكر المصادر حادثة وقعت بينهم أنفسهم أو مع السامريين أو مع غيرهم من النصارى والمسلمين، ولعل مرد ذلك الى قلة عددهم الأمر، الذي حتَّم عليهم إلتزام الصمت والهدوء لضمان أمنهم في المدينة.

5. 4 المنشآت الدينية والعامة

شهدت مدينة نابلس مجموعة من المظاهر الحضارية والعمرانية على الصعيدين الديني والمدني، فقد أشاد المعماري النابلسي المساجد والمقامات والزوايا والكنائس، وبنى الأسواق والحمامات العامة والمنازل، وقد وجدت في مدينة نابلس عدة آثار خلفتها أيدي الفنان النابلسي الذي استلهم من طبيعة المكان نوع البناء الذي استخدم فيه الحجر؛ إذ أن مدينة نابلس واقعة بين جبلي عيبال وجرزيم.

([1]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص169- 170
([2]) المرجع نفسه، ص146
([3]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص530
([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص269
([5]) المرجع نفسه، ص78؛ أنظر أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر، ص166- 167

تعرضت مدينة نابلس لعدة زلازل منها زلزال سنة1239هـ/ 1824م الذي كان بسيط التأثير، وحدث آخر أوائل سنة1246هـ/ 1830م([1])، وفي 24 رمـضان سنة1252هـ/ 2 كانون الثاني1837م وقع زلزال شديد هز مدينة نـابلس وقراهـا فتوفي48 شخصاً، وتهدمت نابلس حيث خرب ربعها، وأصيب ربعها الآخر بعطـب بالغ. أما ما تبقى من المدينة فقد عطب عطباً يسيراً([2]).

لقد وصف إحسان النمر شدة الفزع الذي أصـاب سـكان نـابلس نتيجـة زلزال1837م فقد خرج الناس إلى المغاور والكهوف، بعد أن قتل وجرح منهم عدد كبير، وكان أكثر الضرر في محلة الحبلة التي تهدمت دورها وقتل كثير من سكانها، وقد ظلت نابلس مدة كبيرة تئن من هول هذا الزلزال([3]).

وقـد رصـدت المحفوظـات الملكيـة المـصرية زلـزال24 رمـضان سنة1252هـ/ 2 كانون الثاني1837م الذي ضرب مدينة نابلس، وغيرها من مـدن بلاد الشام فقد جاء فيها أن إبراهيم باشا قدَّم إلى سامي بك كـشفاً وَرَدَ عليـه مـن سليمان باشا يبين فيه الخسائر التي حلت بسكان الشام جراء الزلـزال، والأضـرار المادية الجسيمة التي لحقت بمتسلمية نابلس، والجدول التالي يبين ذلك([4]):

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص260
([2]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م3، وثيقة4912، عابدين محفظة254 رقم403، 2 ذي الحجة1252هـ/ 9 آذار 1837م، ص208- 211؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص175؛ انظر بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص107
([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص260
([4]) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، م3، وثيقة4912، عابدين محفظة254 رقم403، 2 ذي الحجة1252هـ/ 9 آذار 1837م، ص211

جدول رقم(6)

الأضرار والخسائر التي منيت بها متسلمية نابلس في الأرواح والنواحي جراء زلزال 1837م

النواحي	تفصيلات الخسائر في الأرواح والمنازل
بني صعب	أصيبت قرية(غور) المجاورة لبني صعب بعطب بالغ وأصاب الزلزال غيرها من القرى بخسائر غير قليلة.
الشعراوية	خُرب منزلان بقرية (عتيل)، وأنهدم بيت في قرية(زيتا) وقتل شخصان وأنهدم قسم من القلعة بقرية(قاقون)، وأصيبت قريتا (عرابة) و(عجة) بخسائر يسيره
وادي الشعير	أصيبت قرية (برقة) بخسائر عظيمة وأصيبت بقية البلدة بخسائر بسيطة.
جماعين	إن الخسائر التي أصابت قريتي (تل بيسه) و(جيت) قليلة جداً.
مشاريق البيتاوي	شُعِر بزلزال خفيف جداً في المنطقة.
بلاد حارثة	توفي18 شخص، وخربت15 قرية وتصدع عدد كبير من القرى الأخرى.
مشاريق الجرار	توفي21 شخص وخُرب قسم من قرية(جبع) وأصيبت قرية (طوباس) بخسائر كبيرة، وان سائر القرى أصيبت بخسائر طفيفة.

وفيما يلي عرض للمنشآت الدينية والعامة المتواجدة في متسلمية نابلس، والتي جسدت روح الحياة العمرانية، ومدى اهتمام السكان ببناء المساجد والأوقاف والمقامات والكنائس والأسواق والحمامات:

أولاً الجوامع: أدت الجوامع خدمات جليلة في حفظ اللغة العربية، والثقافة الإسلامية في فلسطين، وكانت مركز الحياة الاجتماعية والسياسية ، وبخاصة في العصور الإسلامية الأولى. كان المسجد بمثابة مدرسة دينية، وفيه يحكم الأمير، ويحفظ بيت المال، ويستقبل رؤساء القبائل، وكانت الجوامع مركزاً للاحتفالات الدينية والقومية،

ولا عجب إن كانت دائماً هدفاً للغزاة والمحتلين، وكانت الجوامع مقاماً للعدل وإصدار الأحكام لقضاتها ومسرحاً لدِفاع محاميها([1]).

كان الجامع يقدم مجموعة من الوظائف فهو مكان للتربية والتعليم، وفيه ترسم خطط الدفاع والهجوم، وفيه تجري المحاكمات ويفصل في الخصومات، فهو وزارة تربية ووزارة دفاع ومحكمة ونادٍ ومجلس برلماني. بالإضافة إلى مهمة الجامع الأم وهي العبادة، وعلى رأسها عاموده الصلاة، وعندما توسعت المدينة وتعددت المهام، وانتشر البناء تحولت هذه الخدمات إلى مختلف أرجاء المدينة واقتصرت مهمة الجوامع على العبادة.

بدأ بناء الجوامع في فلسطين عقب الفتح الإسلامي مباشرة في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، كان المسلمون كلما فتحوا مدينة أقاموا فيها جامعاً. لذلك فإن أول الجوامع بني في المواقع التي فتحت أولاً مثل القدس، وقيسارية، وسبسطية، ونابلس، واللد، ويافا، وأجنادين، وبيسان، وقد سميت كثير من الجوامع التي بنيت بعد الفتح بالجوامع العُمرية نسبة إلى عمر بن الخطاب، واستمر بناء الجوامع في العصر العثماني فقد بنى العثمانيون كثيراً من الجوامع في القدس وعكا ونابلس وغزة وسواها([2]).

فالأماكن الدينية في نابلس كثيرة ومتعددة، ولها أنماط معمارية متنوعة الأشكال، وتتجلى فيها أنماط معمارية عدة تتناغم مع العهد الذي بنيت فيه أو مع العهود المتعاقبة في آن واحد، فالجوامع فيها متعددة التصاميم فمنها ما له مدخل يشبه الكنيسة في طرازه المعماري مثل الجامع الكبير الصلاحي، ومنها ما له بركة في وسط ساحته، ومنها ما كثرت فيه الأقواس وارتفعت فيه السقوف([3]).

أنشأ المعماري النابلسي الجوامع الكثيرة في المدينة والقرى، وفي البلدان المجاورة، وأقام عليها المآذن المتعددة الأشكال الهندسية، فنجد المئذنة المربعة في جامع الخضرة، والمئذنة المثمنة في مسجد الأنبياء وهي مأخوذة عن مئذنة الجامع الكبير الصلاحي فهي الأقدم، ومئذنة جامع البيك(العين)، ومئذنة الخضر، ومئذنة

([1]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص89
([2]) المرجع نفسه، ص88- 89
([3]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص45

رفيديا وغيرها، ثم وجدت المئذنة ذات12 وجهاً كما في مئذنة جامع الساطون، ثـم كانت المئذنة الاسطوانية العثمانية، والتي درجت في مدينة نـابلس كمئذنـة جـامع النصر والجامع الحنبلي وغيرها، وقد بالغ المعماري النابلسي فـي إظهـار قدرتـه المعمارية فأقام عدداً من المآذن ذات القاعدة الضخمة على أبواب الجوامع فيمر من تحتها المصلون، والمئذنة قائمة فوقها كمئذنة الجامع الكبيـر الـصلاحي، والجـامع الحنبلي وجامع الساطون. وقد زخرفت مـشارف المـآذن بالمتـدليات الجميلـة([1]). وتميزت بعض الجوامع بقبابها وأخرى بأعمدتها الجميلة على جـانبي بابهـا، أمـا المحراب فلكل جامع نقوشه وبناؤه المميز([2]).

وكان الأمراء والأثرياء يتبارون فـي إيقـاف الأوقـاف علـى الجوامـع والمدارس، وكانت الأوقاف على كل جامع أو مدرسة تدار من قِبل متولٍ أو نـاظر على أموال الوقف، وهذه الوظيفة تسمى بـ(وظيفة النظارة والتوليـة)([3])، وذلـك حسب شروط الوقف بإشراف القاضي، وقد اختلفت أُجورهم بحسب قيمة الدخل لكل وقف([4]).

ولتخليد فن العمارة الإسلامية فقد ظهر في ذلـك العهـد طريقـة التوثيـق بالتأريخ الهجري بالشِعر، فوجد هذا النظام في نابلس على أبواب الجوامع والقبـور والمقامات والمنازل، وهو نوع معقد كان يُتعب في صناعته دُعـاة الأدب وأربـاب الشِعر حيث يقوم على حساب الأبجدية، وما يرتبط بها من أرقام كالآتي([5]):

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص106- 107
([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص45
([3]) محكمة القدس الشرعية، سجل 317، غرة ربيع الاول 1249هـ/ أواسط أيلول 1833م، ص127
([4]) محكمة القدس الشرعية، سجل 317، شوال1248هـ/ شباط 1833م، ص70؛ انظر محكمة القدس الشرعية، سجل 318، 23 ذي الحجة 1249هـ/ 3 أيار 1834م، ص107؛ انظر محكمة القدس الشرعية، سجل325، غرة ربيع الأول 1257هـ/ أواخر حزيران 1841م، ص152
([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص23

حـطـي	هـوز	أبـجـد
ح ط ي	هـ و ز	أ ب ج د
8 9 10	5 6 7	1 2 3 4

س ع ف ص	ك ل م ن
60 70 80 90	20 30 40 50
ث خ ذ	ق ر ش ت
500 600 700	100 200 300 400
ض ظ غ	
800 900 1000	

ومن أمثلة ذلك التاريخ على شاهد عبد الفتاح آغا النمر كما أُرخ

بشراه في جنة المأوى لقد حبيا

وبناءً على التأريخ الهجري الأبجدي الشعري، القائم على جمع أعداد الأرقام المرتبطة بكل حرف- كما هو مبين سالفا – يكون المجموع (1294)، وهو بالذات التاريخ الذي توفي فيه عبد الفتاح آغا النمر سنة1294هـ/ 1877م.

أما الجوامع التي وجدت في متسلمية نابلس([1]) حتى نهاية الحكم المصري لبلاد الشام1256هـ/ 1840م: فهي على النحو التالي:

1- الجامع الكبير الصلاحي([2]): يعد أكبر جوامع نابلس وأشهرها، حيث يقع شرقي المدينة([3]) في محلة العقبة([4])، وقد كان كنيسة في البداية بناها الإمبراطور جستتيان في ق6م، وأعاد الإفرنج بناءه سنة563هـ/ 1167م([5])، وحوله صلاح الدين الأيوبي

([1]) يوجد عدد من الجوامع في مدينة نابلس والتي تم تشييدها بعد فترة الحكم المصري أي بعد سنة1256هـ/ 1840م، ومنها: جامع الحاج نمر النابلسي الذي أنشأه الحاج نمر بن حسن النابلسي سنة1357هـ/ 1938م، وجامع الخضر الذي عمَّره السيد بدوي عاشور سنة1307هـ/ 1890م، وغيرها من الجوامع؛ الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص224- 225؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص58

([2]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 9، 14 رمضان1246هـ/ 27 شباط 1831م، ص20

([3]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص19- 29؛ انظر مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([4]) محكمة القدس الشرعية، سجل 325، غرة ربيع الأول 1257هـ/ أواخر حزيران 1841م، ص152

([5]) محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ص699؛ انظر مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص101؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص47

بعد تحرير المدينة إلى جامع، وبابه الشرقي كبير مهيب يشبه باب كنيسة القيامة، وهو مؤلف من خمسة أقواس الواحد ضمن الآخر([1])، وصفه السائح التركي أولياء جلبي سنة1082هـ/ 1671م فقال: (إن محرابه الحالي كان مدخل الكنيسة من الناحية الشرقية، وعلى جانبي المدخل يوجد ثمانية أعمدة ممشوقة من الرخام يرتكز عليها قوس الجامع الذي هو آية في فن البناء، وطول الجامع300 خطوة، وعرضه100 خطوة ... ومجموع ما فيه من الاعمدة55 عموداً، ومحرابه واسع جداً والمنبر قديم)([2])، أما المئذنة المثمنة فبناها أمير الحج الشامي الأمير مصطفى الغفاري سنة1051هـ/ 1641م، وهو الذي بنى المارستان الذي يقع وراءه، وفي سنة1133هـ/ 1721م بنى أمير الحج سليمان باشا العظم إيوانين وبركة ماء.([3]).

وكان الجامع الكبير الصلاحي يشتمل على مدرسة لسكنى الغرباء من طلبة العلم، ويوجد حوله سوق مسقوف حيث نُسبت هذه الأبنية الأصيلة إلى مصطفى بك الغفاري؛ وذلك من خلال نقش موجود فيه يحتوي على ستة أسطر مكتوب بالخط النسخي الجميل([4]):

هذا قبر المرحوم

مصطفى بك الغفاري

عليه رحمة الباري

باشراه رضوان بك أمير

الركب المصري في ربيع الأول لسنة1051هـ/ 1641م

من محمد الحبيب

أشتق الجامع اسمه من اسم القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي أُعيد بناء الجامع في عهده([5])، وفي الساحة الشرقية قبل الجامع الكبير، وفوق العامود

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص228

([2]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص181- 182؛ انظر محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 22 شعبان 1262هـ/ 15 آب 1846م، ص232

([4]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص160- 161

([5]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص45؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج3، ص88

القائم يوجد نقش على لوحة من الرخام تدل على أن الجامع تمت صيانته وتعميره من طرف أمير الحج الشامي سليمان في سنة1139هـ/ 1726م إذ كتب في هذا النقش([1]): إذا ما جئت نابلس[نابلساً] فابادر[فبادر]

وعرج نحو جامعه الكبير

تجده عامراً يدعو بخير

وبتأييد[وتأييد] لمولانا الوزير

أتى التاريخ لطفاً يا مجيد

بحسن أحياه وأجزيه بخير

وقد وصف ابن بطوطة هذا الجامع بقوله: (الجامع في نهاية من الإتقان والحسن، وفي وسطه بركة ماء عذب)([2]). أما شيخ الربوة فقال: إنه (جامع حسن يقام فيه الصلوات وكثير قراءة القرآن به ليلاً ونهاراً والاشتغال فيه كثير)([3])، وذكر عبد الغني النابلسي الجامع الكبير الصلاحي في أثناء زيارته له فقال: (حضرنا بعد صلاة العصر في زاوية الشيخ ابن الحارثية في داخل الجامع الكبير، وقد عقد حلقة ذكر، وحضر خلق كثير في ذلك الوقت)([4]).

ووجدت عدة وظائف للجامع الكبير الصلاحي منها وظيفتي النظر والتولية على أوقاف الجامع التي تولاها كل من السيد صالح ابن السيد محمد سعيد أفندي البسطامي والسيد شعبان البسطامي، بعد نقل هذه الوظيفة من السيد محمد سعيد البسطامي ليقوما بمباشرة مصالح الوقف من تعمير وإشراف، وكان أجرهما12 زلطة في السنة([5])، وتولى أحمد آغا ابن علي أغا اليوسفي وظيفة التولية والنظر بقراءة9 أجزاء من القرآن الكريم ومنها سورة الأنعام للمرحوم جعفر بك براتب

([1]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص47

([2]) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، م1، ص256

([3]) شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص267

([4]) عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، ص108

([5]) محكمة القدس الشرعية، سجل 325، غرة ربيع الأول 1257هـ/ أواخر حزيران 1841م، ص152

قدره9 قراريط من15 قيراطاً في حمام الريش في نابلس، وكان الحاكم الشرعي هو المسؤول عن تعيين النظَّار والمتوليّن([1]).

أما خطيب الجامع فكانت مهمته تنحصر بإلقاء الخطب في كل جمعة وفي يوم العيدين، وكان له اجر معلوم يأخذه من الوقف الخاص بالمسجد الذي يخطب فيه، ويتم تعيينه عن طريق المفتي، ويظهر ذلك جلياً من خلال الحجة التالية: (...الشيخ احمد افندي مفتي مدينة نابلس عين الشيخ ابراهيم افندي الخماشي في وظيفة الخطابة الشريفة في الجامع الكبير الصلاحي الكاين بمدينة نابلس المحروسة ليتعاطى وظيفة الخطابة في كل جمعة وفي يوم العيدين الشريفين بالجامع الصلاحي المذكور عوضا عن الشيخ عبد الله فتيان بحكم وفاته الى رحمة الله تعالى عن غير ولد ذكر ونحول هذه الوظيفة الشرعية... بموجب سندات مقبولة شرعا ... وبقبض وتناول معلوم ذلك في وقف الجامع المذكور المتقيد بدفاتر الوقف)([2])، أما الإمام فكان الحاكم الشرعي هو المختص بتعيينه، ومن أئمة الجامع الكبير الصلاحي السيد احمد بن فخري وهو إمام حنفي، وكان يتقاضى12غرشاً من ريع الوقف([3]).

وتولى السيد سليمان ابن المرحوم مصطفى البنا نصف وظيفة أذان المغرب في كل ليلة، وفي نصف وظيفة إعانة المؤذنين في بقية أوقات الصلاة الأخرى بأجر وقدره نصف عثماني بدلاً عن أبيه وعمه الذي توفي دون ولد([4])، وكان الشيخ عبد الغني مكية، أحد أئمة وخطباء الجامع الصلاحي الكبير يتقاضى قرشاً للإمامة، وثلثه للخطابة وثلثاً عن النظارة، وثلثي قرش في أوقاف جعفر بك أي نحو ذهبة اليوم لان الذهبة كانت5 زلطات أي ثلاثة قروش وثلاثة أرباع القرش([5])، وقد كانت هذه الوظائف من خطباء وأئمة للجوامع، ونظَّار ومتولين على الوقف، وغيرها من الوظائف التي يحتاج اليها الجامع منطبقة ومتوفرة لكافة الجوامع.

([1]) محكمة القدس الشرعية، سجل 318، 23 ذي الحجة 1249هـ/ 3 أيار 1834م، ص107
([2]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10، ذي القعدة 1255هـ/ كانون ثاني 1840م، ص1
([3]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10، 22شعبان 1262هـ/ 15 آب 1246م، ص232
([4]) محكمة القدس الشرعية، سجل 319، 5 محرم 1251هـ/ 3 أيار 1835م، ص101
([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص53- 54

2- جامع الأنبياء: يقع في محلة الحبلة قرب محطة سكة الحديد([1]) في أقصى شرق حي الأنبياء([2])، وسمي بالأنبياء لأنه يقال إن أولاد يعقوب عليه السلام قد دفنوا فيه؛ إذ بقربه بئر الأنبياء([3])، وقد وجد في هذا الجامع قبرٌ عالٍ تحته مغارة، ووجد على ظهر المغارة حائطٌ مكتوبٌ عليه ما صورته(أولاد سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام: روبين، لاوي، بني يامين، سيوخو، تفتوني، يودى، وفيه اسمان آخران مبهمان)([4]).

وضريح الأنبياء موجود في غرفة تقع غربي المكان المخصص للصلاة، وهو ضريح كبير يبلغ طوله4 أمتار، وهو مكسو بحلل خضراء([5])، وعليه قطعة قماش بيضاء كتب عليها بخط جميل(هذا ضريح أسيادنا أنبياء الله الكرام من أولاد يعقوب وهم، ربالون ويشجر وأشر، على نبينا وعليهم وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم)([6])، وهناك مصدر تاريخي آخر ينفي هذين القولين، إذ على الرغم من التقاليد وإشارات بعض الكتب إلا أن الجامع هو المكان الذي يحوي رفات أجساد أبناء يعقوب، فإن الأدلة التاريخية لم تثبت صحة ذلك، حيث رحل يعقوب عليه السلام وأبناؤه إلى مصر، وأقاموا فيها ولم يُذكر أن أحداً منهم قد عاد إلى فلسطين إلا رفات يوسف عليه السلام إذ نقلت من مصر مع جماعة سيدنا موسى ودفنت في قرية بلاطة من قرى نابلس، ويقال إنها نقلت إلى مدينة الخليل فيما بعد، ولذا يُستبعد أن يكون هذا المكان قد خصص لدفن أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام([7])، والله تعالى أعلم بالحقيقة.

إن أولاد يعقوب الذكور هم: روبيل ويقال له راوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، ويوسف، وبنيامين، ودان، ونفتالي، وجاد، وأشير، وقد نزل سيدنا يعقوب عليه السلام بجميع أولاده مصر في نحو1656ق.م في عهد

([1]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص101
([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص65
([3]) محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ص699
([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص227
([5]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92
([6]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص227
([7]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص743- 744

يوسف عليه السلام، وبقيت أحفادهم فيها مدة تنوف على400 سنة، وخرجوا منها بزعامة موسى عليه السلام الى فلسطين. إن كتب التاريخ لم تذكر بأن واحداً من أبناء يعقوب قد دفن في فلسطين سواء كان ذلك في عهد إقامة أبيهم فيها أو بعد رحيله إلى مصر([1])، وقد رمم جامع الأنبياء من قبل المُحسنة فاطمة عاشور سنة1311هـ/ 1893م، ومئذنته الحالية بناها الفاضل إبراهيم عبده، وبنى ليوانه الحاج فخر الدين الأخرمي([2]).

3- **جامع التينة:** يقع في الطرف الشرقي من محلة القريون([3])، وهو جامع قديم عامر بالصلوات([4]) جدّد بناؤه ومنبره سنة1310هـ/ 1892م([5])، وسمي بجامع التينة لوجود شجرة تين كبيرة في ساحته([6]).

4- **جامع النصر**([7]): يقع في وسط مدينة نابلس القديمة([8]) في محلة القريون([9])، وأصله كنيسة بيزنطية أُعيد بناؤها في ق2م([10])، وترجع تسمية جامع النصر بهذا الاسم إلى انتصار المسلمين في الحروب الصليبية، فحولت الكنيسة إلى جامع عرف باسم جامع النصر في عهد القائد صلاح الدين الأيوبي، وفي العهد العثماني بنيت له مئذنة اسطوانية، بناها مراد بك أمير لواء نابلس سنة992هـ/ 1584م بأمر من السلطان مراد الثالث([11])، وقد تولى الشيخ عبد الواحد خماش نجل المرحوم الشيخ مصطفى خماش ناظراً شرعيا على وقف جامع النصر، وفي وظيفة نصف الخطابة،

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص228
([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص65
([3]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92
([4]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص743
([5]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص227؛ انظر مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص100
([6]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص53
([7]) محكمة القدس الشرعية، سجل 317، شوال 1248هـ/ شباط 1833م، ص70
([8]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص225
([9]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، أواسط محرم 1256هـ/ أواسط آذار 1840م،ص7
([10]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92؛ انظر مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص743
([11]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص181

وفي ثلث وظيفة الإمامة بأجر قدره48 زلطة، ونصف الخطابة في كل سنة24 زلطة، ونائب الإمامة في كل سنة18 زلطة، فالجملة تكون90 زلطة([1]).

يتقلَّد المئذنة الاسطوانية قلادة من النقوش الجميلة، وهي مقامة على شاكلة مئذنة الجامع الكبير الصلاحي. أما حجارة الجامع الداخلية فهي أرجوانية نادرة، وقبة الجامع من الداخل مثمنة ترتكز على أربعة أقواس كبيرة وترتكز الأقواس الكبيرة على أقواس صغيرة زادت الجامع عظمة وبهاء، وجعل سقف الجامع حول القبة مستوياً مما ساعد على رفعها عالياً، وكل ضلع من أضلاع القبة فيه ثلاث نوافذ مقوسة الشكل مما يزيد في إضاءة الجامع بدخول أشعة الشمس إليه، وعلى جوانب الجامع نوافذ مربعة تعلوها نوافذ أخرى بشكل نصف دائري، ومجموع نوافذ جامع النصر72 نافذة، ولا يقل محراب الجامع أهمية وجمالاً عن باقي أقسامه الداخلية، أما أعمدة الجامع فهي متنوعة الشكل واللون، ومنها الاسطواني الأبيض الرخامي، ومنها المربع الأخضر، وتبلغ عدد أعمدة جامع النصر32 عاموداً، ويتميز الجامع بقبة خضراء كبيرة يحيط بها8 قباب خضراء صغيرة([2]).

ويذكر الدباغ نقلاً عن عبد الغني النابلسي في رحلته لمدينة نابلس سنة1101هـ/ 1690م أنه رأى على يمين المحراب مسطبة كبيرة يقال ان تحتها قبور الشهداء الذين سقطوا في المعركة التي وقعت مع الصليبيين، ويرجح الدباغ أن المعركة حدثت خارج مدينة نابلس، إلا أن الشهداء المسلمين في هذه المعركة دفنوا داخل الجامع، وقد زار هذا الجامع السائح التركي أوليا جلبي، وذكر أنه كان فيما مضى ديراً كبيراً([3])، وذكر إحسان النمر قصة بناء أروقة جامع النصر في مثال على أمانة تجار نابلس الذين ردوا الأموال المفقودة لأحد التجار القادمين لشراء الصابون من مصابن نابلس، مما دفع التاجر الى أنفاق نصف المال العائد بعد فقدانه في بناء أروقة لجامع النصر([4]).

([1]) محكمة القدس الشرعية، سجل 317، شوال 1248هـ/ شباط 1833م، ص70؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص54

([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص48- 51؛ انظر رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص161

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص225- 226

([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص559

5- جامع الساطون أو الساطور([1]): يقع في محلة الياسمينة، وهــو عــامر بإقامــة الصلوات فيه([2])، وزار هذا الجامع الرحالــة عبــد الغنــي النابلــسي1101هـــ/ 1690م([3])، وقد بنى المسلمون هذا الجامع مكان معبد صليبي صغير لأنهم وجــدوا الصليبيين قد حولوه إلى كنيسة([4])، ويعد جامع الساطون من أقدم جوامع المدينــة، إذ تمتاز مئذنته بان لها12 وجهاً، ويعود تأسيس الجامع إلى العهد العمــري 13- 23/ 634- 644م، وتم ترميم الجامع سنة1289م كما تشير اللوحة الموجودة في الجامع، وتبين بعد الاطلاع على التاريخ الموجود في ساحة جامع الساطون أن الذي رممــه هو جمال الدين نور الله بن شمس الدين الطاهر الشهيد سنة688هـ/ 1289م، وقــد شيد مكان الوضوء، والغرفة الحالية زمن الحاج صــدقة الخــضري فــي رجــب سنة798هـ/ 1396م. أما المئذنة القديمة فكان بناؤها زمن محمد بن عمــاد الــدين الشهيد في ربيع الأول سنة759هـ/ 1358م([5]).

6- جامع البيك(العين)([6]): يقع في وسط المدينة([7]) في محلة الغــرب بخــط عــين حسين([8]) كان يقال له جامع العين نسبة إلى عين حــسين الموجــودة تحــت بنائــه الحالي([9])، وكان الجامع كنيسة حوّلت إلى جامع زمن العثمانيين([10])، وقد جدد بنــاءه إبراهيم بك طوقان سنة1158هـ/ 1745م ، ولما كان لقب (بيك) من ألقــاب هــذه العائلة نسب الجامع إليهم فدعي بجامع البيك، وأدخلت عليه تحسينات كبيرة، ويوجد فوق الجامع طابق علوي فيه عشرات الغرف الصغيرة استعملها الطلاب للعلــم([11])،

([1]) محكمة القدس الشرعية، سجل320، أواخر جمادى الأولى 1252هـ/ أواسط تموز 1836م، ص150

([2]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92؛ انظر مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص743

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص226

([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص47

([5]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص57

([6]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 20 محرم 1256هـ/ 25 آذار 1840م، ص37

([7]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص743

([8]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 20 محرم 1256هـ/ 25 آذار 1840م، ص37

([9]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص180- 181؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص54

([10]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92

([11]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص226؛ انظر مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص100؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص54- 55؛ انظر الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92

جدّد إبراهيم بك طوقان جامع البيك باستثناء القسم الغربي منه بسبب وجود منزل هو اليوم في ملك آل البدوي، وقد ضم إليه إبراهيم بك طوقان حاكورة اشتراها من آل الحنبلي وبنى عليها الليوان وغرفة الإمام، وبعد 32 سنة أي في سنة1190هـ/ 1776م قام ولده الوزير مصطفى باشا ببناء القسم الشمالي والغرف، ولعله هو الذي بنى المئذنة أيضاً([1]).

7- الجامع الحنبلي: يقع غرب المدينة([2]) قرب سوق الخضار([3])، وقد عرف سابقاً بالجامع الغربي لوقوعه غربي مدينة نابلس، وقد دُعِيَ باسمه الحالي منذ ق7هـ/ ق13م نسبة إلى الحنابلة الذين تولوا الإمامة فيه فعرف بالجامع الحنبلي أو جامع الحنابلة([4])، ولا يوجد كتابة قديمة تدل على أنه بناء عمري فقد أشار إحسان النمر أن المسلمين بنوا الجامع الحنبلي مكان الكنيسة الرومانية الغربية([5]) إلا أنه يوجد شاهد متآكل تاريخه فيه تشويه على باب الغرفة القبلية يدل على أن بنائها سنة933هـ/ 1526م، وهذا يصادف عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (1520- 1566م)، وقد حصل تآكل شوه التاريخ([6]).

وقد تجدد بناء جامع الحنبلي في عهد السلطان محمد رشاد خان الخامس سنة1330هـ/ 1912م، وقد تشرف الجامع في عهده بالشعرات المحمدية التي جلبت من الأستانة في خزانة خاصة جالسة على يمين المحراب، وقد كتب على منبره (تجدد بناء هذا المسجد وتشرف بالشعرات المحمدية، بأمر من الخليفة السلطان محمد رشاد خان الخامس نصره الله سنة1330هـ)([7]).

وكان حيدر بك طوقان قد حصل في استانبول على ثلاث شعرات نبوية من شعر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي محفوظة في الجامع الحنبلي بطلب من السلطان محمد رشاد الذي تبرع بعمارة الجامع، ويتولى أمر فتح الخزانة الخاصة

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص181
([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص56
([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص227
([4]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص743؛ انظر الموسوعة الفلسطينية،م2، ص92
([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج1، ص47
([6]) المرجع نفسه، ج4، ص180
([7]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص227؛ انظر الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92

بالشعرات المحمدية شخص من آل البيطار بنابلس، وجعل شرف فتحها في كل سنة في27 من شهر رمضان المبارك المرجح لليلة القدر لرئيس كتَّاب المحكمة الشرعية بموجب براءة سلطانية، لأن القاضي معرَّض للنقل، وكان رئيس الكتاب إذاك الشيخ رشيد البيطار فتولى أمرها طيلة وجوده في نابلس، ثم نقلت لأخيه الشيخ نسيب البيطار ثم للسيد نبيه البيطار وتوالت فيهم([1]) ويتبين مما سبق أن الجامع كان يستمد جزءاً من مكانته في النفوس لوجود الشعرات المحمدية الطاهرة([2]).

8- جامع المساكين: يقع في محلة الحبلة([3]) بالقرب من جامع الأنبياء، ويرجح أنه بناء صليبي أُعدّ ليكون مستشفى لفرسان الهيكل(الاسبتارية)، وهو في العصر الحالي خراب، وما زالت بقاياه ظاهرة على جانبي الطريق التي اخترقته([4])، وفي عهد المماليك حوَّل نائب السلطنة تنكز المستشفى الهيكلي إلى مسجد ثم لم يطل أمره فنقل منبره إلى الجامع الكبير، وأعيد مستشفى للمجذومين فصاروا يسكنون فيه فأطلق عليه اسم جامع المساكين، وقد بنيت فيه المحكمة الشرعية([5]).

وعندما احتل المغاربة قصر الأغوات الكبير، المعروف بقصر الأمير يوسف اضطهدوا حارة الحبلة، واستولوا على بواباتها وعلى كثير من أحواشها ودورها وأسكن سائر العساكر في جميع أنحائها، فاحتلوا حوش الحمام، وتل الكريم، وبعض الدور، وجعلوا جامع المساكين شونة أي محل وضع السلاح والعتاد للعساكر([6]).

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج3، ص114

([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص56

([3]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92

([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص224؛ مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، م2، ص742

([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص183

([6]) المرجع نفسه، ج1، ص194

9- جامع الخضراء([1]): يقع في محلة الياسمينة بالقرب من عين العسل([2]) عمَّره السلطان سيف الدين قلاوون الصالحي، سابع ملوك دولة المماليك(678- 689هـ/ 1279- 1290م) حيث ذُكِر على لوحته الحجرية المثبَّتة على الباب([3]):

عُمِرَ هذا المسجد في أيام السلطان الملك

منصور سيف الدين قلاوون الصالح أعزه الله

ما ولده السلطان الملك الصالح علاء الدين عز نصره

وقد وصف السائح التركي أوليا جلبي1082هـ/ 1671م جامع الخضراء فقال: (إنه بناء مربع طول ضلعه87 خطوة)، ويقع الجامع اليوم وسط البساتين، وتوجد بركة في صحنه، وتبلغ مساحة القسم المُعد للصلاة فيه نحو300 متر مربع، وله محراب جميل، ومئذنة مربعة([4]).

ويقول السامريون إن بناء جامع الخضراء قائم مكان كنيس الخضراء التي بناها كاهنهم(إقبن)، ويذكرون أيضاً أنه المكان الذي حزن فيه يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف لما بلغه موته، لذلك يعرف الجامع عندهم أيضا باسم (جامع حزن يعقوب)، ويضيف السامريون أن المسلمين هدموا الكنيس المذكور في أيام المعتصم، إلا أنهم بعد ذلك بقليل عادوا وامتلكوه، ولكن لم يدم ذلك طويلاً إذ عاد المسلمون وحولوه إلى جامع، وفي الحروب الصليبية بنيت على هذه البقعة كنيسة صليبية، وعندما استعاد المسلمون البلاد من أيدي الصليبيين حولوا الكنيسة إلى جامع([5]).

لجامع الخضراء مئذنة مربعة تختلف عن مآذن جوامع نابلس وعلى محرابه نقوش بديعة الصنع([6]) حيث تبعد مئذنته عنه مقدار60 متراً من ناحية الشمال وتشبه

([1]) محكمة القدس الشرعية، سجل 320، أواخر جمادى الأولى 1252هـ/ أواسط تموز 1836م، ص150؛ انظر محكمة القدس الشرعية، سجل 317، غرة جمادى الأولى 1248هـ/ أوائل آب 1832م، ص47

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص222؛ انظر مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص98

([3]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص159- 160

([4]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92، أنظر آمنة أبو حجر، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، ج2، ص901

([5]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص222- 224؛ انظر مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص742؛ انظر محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ص699؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص59- 64

([6]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص181

في نمطها المعماري مئذنة الرملة. أما الزخارف والنقوش التي فيــه فقــد تــأثرت بالطابع الإسلامي، حيث يبدو ذلك على بقايا النقوش القديمة الموجودة على قطعة من محراب جامع الخضراء التي لا مثيل لها إلا في قصر الحمراء بالأنــدلس، وتبــدو مطوقة بإطار من معجون قديم يشبه الجبس يرجع إلى العهد الأيوبي([1]).

وهناك عدة جوامع صغيرة الحجم وجدت في مدينة نابلس، منهــا: جــامع عجعج الذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من نابلس، وجامع سعد الدين الذي يقــع غرب الجامع الكبير([2])، وجامع ياصيد الواقع في الجهة الشرقية من المدينــة حيــث يشتمل على9 عقود مهدمة، ومحراب كبير من الحجر المواسي، وعليه نقوش، ولــه مئذنة مغربية كبيرة هدم معظمها، وقد كتب على بابه:

(بسم الله الرحمن الرحيم

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر "صدق الله العظيم"

جدد هذا المسجد المبارك ووقف لوجه الله تعالى في ثوابــه الجزيــل والله يجــزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين الجناب العالي المولوني الــشمس محمــد بــن سليمان المشاق أثابه الله بتاريخ العشر الأخير من جمــادى الآخــرة ســنة عــشر وثمانمائه أحسن الله وقفنا)([3]).

وكذلك جامع سبسطية القائم على بقعة كنيسة بنيت في ق4م، وجــدد بنــاؤه سنة1310هــ/ 1892م، وجوامع أثرية أخرى في باقة الحطب، وطوباس، وبــردا، وخربة جراعة قرب جماعين، وخربتي المطوى ورويسون([4])، وفي قرية حجة يوجد جامع كتب على أحد أبوابه: (بسم الله الرحمن الرحيم عَمَّر هذا المــسجد المبــارك إمام الناحية وعبد الله بن عثمان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة)، وتوجد كتابة ثانيــة على جداره الجنوبي، ومثلها على المئذنة، وجميعها لا تخرج في معناها عن الكتابــة

([1]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص742

([2]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص65

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص601

([4]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص92

المذكورة غير أنها كتبت في أيام السلطان المملوكي الملك الناصر محمد بن قلاوون([1]).

ويُستدل مما سبق على أن غالبية الجوامع كانت في الأصل عبارة عن كنائس قبل الفتح الإسلامي، وقبل أن يحررها القائد صلاح الدين الأيوبي، بحيث تم صبغ هذه الكنائس وترميمها، وإعادة بنائها فأصبحت جوامع يؤمها المسلمون من مدينة نابلس وجوارها، بالإضافة إلى انتشار هذه الجوامع في مختلف محلات (نواحي) نابلس، ومنها: القريون، والحبلة، والياسمينة، والغرب وغيرها، وقد روعي الطراز والنمط المعماري الإسلامي في طريقة البناء، والذي يغلب عليه نظام العقود، والأقواس، والأعمدة، والنقوش، والزخارف ذات الألوان المتعددة، والخطوط الإسلامية الجميلة.

ثانياً: المقامات: يوجد في مدينة نابلس وقراها عدد من المقامات والقبور والأضرحة والمزارات التي ترجع إلى أنبياء أو صالحين أو أولياء، فلمدينة نابلس مكانة دينية وتاريخية مميزة؛ فقد مرَّ بها بعض الأنبياء: آدم، وإبراهيم، ويعقوب، وعيسى عليهم السلام، ومن هذه المقامات والقبور الأضرحة:

1- قبر النبي يوسف: هناك قبر يقع على بعد1000 ياردة إلى الشمال من بئر النبي يعقوب([2]) يُعتقد أنه قبر النبي يوسف عليه السلام([3])، ويعتقد أن أبناء يعقوب عليه السلام باعوا أخاهم يوسف في هذا الوادي([4])، وعلى جبل جرزيم مكان مقدس وأثري لدى السامريين، إذ يعتقدون أن إبراهيم عليه السلام هَمَّ بذبح ابنه قرباناً لله تعالى([5]).

إن المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين يكادوا يتفقون على أن ضريح يوسف عليه السلام في قرية بلاطة مع أن المشهور عند الناس بأنه مدفون في مدينة الخليل، ولعل كلامهم صحيح وأن القبر قد نُقِلَ في وقت ما إليها من بلاطة، والقبر

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص376
([2]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744
([3]) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، م2، ص137
([4]) آمنة أبو حجر، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، ج2، ص901
([5]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص104

اليوم يقع في الشرق الشمالي من بلاطة، وليس في بناء القبة التي تعلو غرفة الضريح ما يدل على تأنق أوعناية، فهي كتلك التي تبنى على أضرحة بعض الأولياء والصالحين بيسير من النفقة وقليل من الاهتمام، وذلك لأن الملوك والسلاطين كانوا يعتنون بالضريح الموجود في الخليل بجوار المسجد الإبراهيمي([1]).

2- مقام بِشر الحافي: وهو بِشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، كان قد أسلم على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويعرف بالحافي وهو أحد رجال الطريقة، وكان من الصالحين وأعيان الأتقياء الورعين، أصله من مرو من قرية برسام، وسكن بغداد، حيث كان من أولاد الرؤساء والكتَّاب، لقب بالحافي لأنه جاء إلى إسكافي (مرمم الأحذية) يطلب منه شِسعاً([2]) لإحدى نعليه كان قد إنقطع فقال له الاسكافي: ما أكثر كلفتكم على الناس! فألقى النعل من يده والأخرى من رجله، وحلف بأن لا يلبس نعلاً بعدها([3]).

يقع مقام بشر الحافي في محلة الحبلة غربي جامع الأنبياء، وهو عبارة عن غرفة واسعة بها ضريح ينسب إلى بشر الحافي([4])، وسجل عبد الغني النابلسي زيارته لهذا المقام سنة1101هـ/ 1690م بقوله: (ثم ذهبنا فزرنا مقام سيدنا بشر الحافي من رجال الرسالة العشرين صاحب السر الظاهر غير الخافي، ودعونا الله تعالى هناك بما تيسر لنا من الدعاء لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات)([5])، ومن المرجح أن هذا المقام لأحد أولاد أو أحفاد بشر الحافي، وذلك لأن بشر الحافي توفي ودفن في بغداد، ودفن إلى جانبه الخطيب البغدادي، وقيل إنما دفن في مرو، حيث كان مولده سنة150هـ/ 767م، وتوفي سنة226هـ/ 841م، وقيل سنة227هـ/ 842م([6]).

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص277- 278

([2]) الشِّسْعُ: أحد سُيُور النعل، وهو الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة شسع، ج5، ص105

([3]) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ص274- 275؛ سيشار اليه فيما بعد ابن خلكان، وفيات الاعيان.

([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص230؛ انظر مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([5]) إحسان النمر، المختار، ص22

([6]) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص276؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص169؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص231

3- **قبور رجال العمود:** عبارة عن قبور تقع في القسم الشرقي من المدينة عند أقدام جبل جرزيم([1])، ويقال إن أربعين نبياً من أنبياء بني إسرائيل مدفونون فيها، ويقــول السامريون إن الإمبراطور (زينون) قتل70 من زعمائهم عندما حاول تنصيرهم فــي جنين، ويزعم البعض أنه في(بلوطه مورة)، وهو المكان الذي نصب إبراهيم عليــه السلام خيمته عليه عندما جاء لأول مرة إلى هذه البلاد، ويستدل مــن بقايــا الــرُقم التاريخية الموجودة حتى الآن، أنها مكان لدفن مشايخ قرية رجال العمود، وهم محمد عامود النور، وولداه الشيخ صالح، والشيخ سعد الدين([2]).

ويضيف إحسان النمر أن رجال العمود في الغالب هم الأربعون الــشهود، وهم شهداء النصارى الأول الذين عذبهم الوثنيون، وسمي العمود نسبة إلــى محمــد عامود النور الذي دفن فيه، وهو من أهل حضرموت جاء إلى هذه الــبلاد مجاهــداً ضد الصليبيين ودفن فيها هو وأولاده([3]) وقــد زار رجــال العمــود عبــد الغنــي النابلسي1101هــ/ 1690م حيث قال: (ثم توجهنا إلى زيارة الأنبياء الأربعين أهــل الشهود الذين يسمون رجال العمود، وقد دخلنا في داخل مقبرة تلك البلاد الى مــدفن عظيم مشتمل على أماكن متعددة مثنى آحاد وفيه مغارة بني بأعلاهــا علــى شــكل الحفير ولها طاق، وهي مغارة الأربعين، وفي تلك المغارة عمود ولهذا سموا برجال العمود)([4]).

وقال النابلسي بهذا الخصوص أيضا: (ثم ذهبنا مع الإخوان إلى جهة مــن جهات البلد ذات بهجة وافرة وخبرات حِسان وزرنا مكان يقال لمن فيه رجال العمود وعليه مهابة وجلالة وآثار جود)([5])، وتذكر عائلة العامودي النابلسية اليوم أن نسبها يرجع إلى الشيخ محمد عامود النور، وتقدم النساء في نابلس لهذا المــزار النــذور، ويصلي فيه الناس وفي طليعتهم الشيوخ صلاة الاستسقاء إذا انحبس المطر طــالبين من الله تعالى أن يرحمهم بنزول الغيث([6]).

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص237

([2]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص172- 173

([4]) إحسان النمر، المختار، ص22- 23

([5]) عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز، ص104

([6]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص239

4- مقام الشيخ بدران: يوجد ضريحه في محلة القريون([1]) غربي السرايا القديمة([2]) وشرقي جامع البيك(العين)([3]) قرب المدرسة التي كانت تنسب إليه ثم ما لبثت أن حولت إلى حوانيت. الشيخ بدران من رجال ق7هـ/ ق13م([4])، ومقام الشيخ بدران هو بدر الغفير كانت تشعل عليه السروج وتقدَّم إليه النذور، وكان وراء المقام للشرق منه ساحة وغرفة تستعمل مدرسة نزل فيها الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته سنة1101هـ/ 1690م ثم استعملت داراً للمحكمة الشرعية ثم حولتها دائرة الأوقاف إلى دكان للإجارة، وأما المقام فبقي زاوية تودع فيها أعلام أصحاب الطرق الصوفية والطبول والكاسات، وتضاء عليها المصابيح ويظن العامة خطأً انه قبر والد الشيخ عماد ومجير الدين لكنه قبر العماد عبد الحافظ بن بدران بن شبل النابلسي صاحب المدرسة بنابلس، وقد عظم شأنه وتوفي في ذي الحجة سنة698هـ/ 1299م، وقد قارب90 سنة ولكن المعروف أن الشيخ بدران ليس ابن بدران ويظهر أن المترجم هو ابنه لأن الشيخ عبد الغني النابلسي قال إنه قرأ الفاتحة للشيخ بدران الغفير، ولم يقل ابن بدران([5]).

5- مقام عماد الدين بن سيف الدين ابن المشطوب: هو أبو العباس أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسن، المعروف بابن المشطوب، الملقب عماد الدين، والمشطوب لقب والده وذلك لشطبة(ندبة) كانت في وجهه، وكان من أمراء الدولة الصلاحية، وإن والده عندما توفي كانت نابلس إقطاعاً له رصد منها السلطان صلاح الدين الثلث لصالح بيت المقدس، وأقطع ولده عماد الدين باقيها([6])، وكان المشطوب أكثر تميزاً بين أمراء صلاح الدين، وهو كردي معروف بكرمه، وسمو أخلاقه،

([1]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94
([2]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744
([3]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص67
([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص232
([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص171- 172
([6]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص180- 181

وكانت علاقته متينة مع السلطان صلاح الدين([1])، ووقع المشطوب أسيراً في يد ريتشارد قلب الأسد عقب سقوط عكا، وكلف تحريره30 ألف قطعة ذهبية([2]).

يقع ضريح عماد الدين على مقربة من رأس جبل عيبال، ويتألف من غرفة تبلغ مساحتها قرابة25 متراً مربعاً، ويبلغ طول الضريح4 أمتار وتتصل الغرفة بمسجد مكون من غرفة فيها محراب وقبة كبيرة عالية([3])، واستخدم هذا البناء زاوية للتعبد عرفت باسم زاوية الشيخ عماد الدين، كما يتضح ذلك من وقفية لآل البسطامي يرجع تاريخها إلى سنة909هـ/ 1504م، وقد ذكره السائحان أوليا جلبي والنابلسي في رحلتيهما([4]).

وتتضارب الآراء التاريخية حول صاحب القبر، فيذهب ابن خلكان إلى أن المدفون في نابلس ليس عماد الدين وإنما والده سيف الدين؛ لأن عماد الدين توفي في الاعتقال بقلعة حران حيث قبض عليه الملك الأشرف مظفر الدين بن الملك العادل، وان ابنته نقلته من حران إلى قلعة رأس العين حيث بنت له قبة على باب مدينة رأس العين، وأن عماد الدين ولد كما يذكر ابن خلكان سنة575هـ/ 1179م تقريباً، وتوفي سنة619هـ/ 1222م، ويؤكد ابن خلكان أن والد عماد الدين هو سيف الدين المشطوب الذي توفي في نابلس سنة588هـ/ 1192م، وذلك نقلاً عن عماد الكاتب الأصبهاني في كتابه(البرق الشامي)، ونقل ابن خلكان عن بهاء الدين ابن شداد في كتابه(سيرة صلاح الدين) انه توفي في العام ذاته، ولكن دفن في مدينة القدس([5]).

ويورد الدباغ أن بعضهم يزعم إنه قبر يوحنا المعمدان، ويقول النابلسيون إن صاحبه ومجير الدين إخوان، وهما من قواد صلاح الدين الأيوبي، وقد استشهدا في حروب الفرنجة، والبعض يضيف إلى ما تقدم أن أباهما هو الشيخ بدران صاحب الضريح الواقع غربي السرايا، ولعل زعم القائلين إنه قبر يوحنا المعمدان أتى عن

([1]) جيمس رستون، مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ط1، نقله إلى العربية رضوان السيد، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م، ص259

([2]) المرجع نفسه، ص391

([3]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([4]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص234

([5]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح1، ص181- 183؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص166- 167

تسمية المسلمين لصاحب القبر بعماد الدين، فظنوا أن المسلمين حرَّفوا كلمة المعمدان إلى عماد الدين، والدباغ يميل إلى القول بأن القبر يضم رفات المجاهد الأمير علـي بن شجاع الذي استشهد مع مجير الدين في سنة658هـ/ 1260م حينما غزا التتـار مدينة نابلس([1]).

6- **مقام مجير الدين:** يقع أسفل جبل عيبال في الطريق المؤدية إلى القـدس([2])، ويتألف من غرفة مربعة الشكل فيها ضريح([3])، ومجير الدين هو أحد قواد المماليك، استشهد في قتال التتار سنة685هـ/ 1260م، وقد قتل معه جماعة مـن المقـاتلين، ومجير الدين لقبه، واسمه مجير الدين إبراهيم بن أبي بكر بن أبي زكري، وربما جد آل زكري قد كان في نابلس، وتولى على المقام آل خضر السركجي بنابلس، ولديهم حجة على رق غزال تثبت ملكيتهم له([4]). ولهذا المقام أهمية كبيرة لأن بعض نـساء نابلس ينذرن له النذور ويضئنه بالزيت ويقمن أفـراحهن حولـه لجمـال موقعـه الطبيعي؛ فهو متنزه بديع ببساتينه النضرة، ومياهه الجارية، ومناظره الرائعة، وقـد زاره أوليا جلبي والنابلسي في ق17م([5]).

7- **مقام الشيخ مسعود**([6]): يقع في محلة الياسمينة([7]) للجنوب مـن نهايـة البلـدة القديمة، وكانت تشعل له السرج([8]).

8- **مقام الأنبياء:** يقع في محلة الحبلة([9]) في الجهة الشمالية الـشرقية مـن نـابلس القديمة([10])، ويقال إنهم أبناء يعقوب وهذا افتراء لأن بني إسرائيل حين خروجهم من مصر لم يصطحبوا معهم إلا رفات يوسف المحنطة، التي دلت عليها عجوز كبيـرة اشترطت على موسى شرطاً، فعرفته وأُخرج واتوا به ودفنوه عند أجداده، أما هـذا

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص235؛ انظر مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص234

([3]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص168

([5]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص234

([6]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص196

([7]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص67

([8]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص172

([9]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94

([10]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص68

المقام فلا يوجد به أحد منهم، وكانت ولايته لآل فيضي البسطامي العباسي، ثم حول إلى مسجد، وأُبطل إشعال السرج([1])، وذكر مجير الدين الحنبلي أنه(بمدينة مشهد يقال ان به أولاد يعقوب عليهم السلام، وبضواحيها مشاهد كثيرة تنسب إلى جماعة من الأنبياء عليهم السلام)([2]).

9- مقام الخضر([3]): يقع في محلة الغرب([4])، وهو عبارة عن غرفة داخل غرفة، تقام فيه نوبات الصوفية في عهد الشيخ محمد الشخشير([5]).

10- مقام الشيخ غانم: يقع على جبل جرزيم إلى الشمال الشرقي من خرائب القلعة التي يظن أنها بُنِيت في أيام الإمبراطور جستنيان، ولعله يضم رفات أحد بني غانم الذين يعود نسبهم إلى الشيخ غانم بن علي الأنصاري الخزرجي([6]) المولود في قرية بورين الواقعة وراء هذا المقام، وقد اتخذ الشيخ غانم هذه المقام معتكفا له([7])، ولم يكن الشيخ غانم من الأولياء إنما هو من رجال المناظر، ولم يدفن في نابلس وإنما انتقل إلى القدس، وأصبح له ذرية قوية بنوا إحدى مآذن الأقصى، وصار لهم حي يعرف بحي الغوانم، ومن نسلهم آل السروري في القدس، وتداعى المقام فكتب للوزارة الأردنية فأعادت بناءه بمساعدة وزير البلاد الأستاذ عبد القادر الصالح([8])، وقد زار مقام الشيخ غانم الرحالة النابلسي1101هـ/ 1690م فقال: (قرأنا الفاتحة إلى الشيخ غانم المقدسي وولده عبد السلام، ومن عندهما من الصالحين)([9]).

11- مقام السري: يقع على جبل جرزيم إلى الغرب من مدينة نابلس، ويقال إنه ضريح للشيخ محمد السقطي، والمرجح أن يكون مكاناً اتخذه السقطي للذكر([10])، ويضيف الدباغ أن السري الذي ينسب إليه المقام هو أبو الحسن السري بن المغلس

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص168- 169
([2]) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، م2،ص137
([3]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص196
([4]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94
([5]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص67
([6]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص236
([7]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744
([8]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص174
([9]) إحسان النمر، المختار، ص23
([10]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

السقطي البغدادي، أحد الأولياء المشهورين، وهو خال الجُنيد وأستاذه، وتلميذ معروف الكرخي، وكان يلزم بيته، توفي في بغداد سنة253هـ/ 867م، والى جانب قبره يوجد قبر الجُنيد، ومريدوا هذا الولي وأتباعه اتخذوا هذا المكان لذكرهم([1])، والسري من رجال التصوف([2])، له قبر بسيط، ويظهر أنه من ذريته السري السقطي لأن هذا مات ودفن في بغداد، وكانت زاويته يعمرها الصوفية، وفيها تكية زارها السائح التركي أوليا جلبي سنة1671م، فقال عنها: (ومقام سري السقطي يقع على جبل عالٍ في غرب المدينة، وقد كان صاحبه قدس الله سره قطب الأقطاب في زمانه ودفن في بغداد، ومقامه هذا بناية كبيرة تستعمل تكية وأعتاد شيخ الدراويش أن يحتفل للذكر فيها وبدق الطبول في كل يوم خميس)([3]).

وجد عدد وافر من المقامات والأضرحة والمزارات في مدينة نابلس ونواحيها وقراها منها: مقام الشيخ مسلم الصمادي بمحلة الحبلة([4]) جنوب جامع الأنبياء([5])، والشيخ الرملي قرب جامع النصر([6])، ومقام حزقيال وهو نبي (ذو الكفل) في كفل حارث، وقبر يوشع الواقع شمال قرية كفل حارث، وهذا مجانب للصواب لأنه مدفون في جبال السلط لأنه لم يدخل فلسطين سيما هذه البلدة([7]) حيث لا يوجد في الغرفة التي يتألف منها المقام ضريح، وقبر ذي النون الواقع جنوب غربي قرية كفل حارث([8])، ومن المقامات أيضا مقام الشيخ الرملي الواقع بالقرب من جامع النصر وهو فقيه جد آل المنير الحسيني([9]).

أورد إحسان النمر في كتابه (تاريخ جبل نابلس والبلقاء) أسماء عدد وافر من المقامات في مدينة نابلس نذكر منهم ما يلي: مقام الشيخ محمد المجاهد وابنه في مقبرة آل النمر، ومقام الشيخ يوسف شمال قرية بلاطة، ومقام الشيخ بلال في قمة

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص232
([2]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382
([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص168
([4]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94
([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص170
([6]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص68
([7]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص178
([8]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص530- 531
([9]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص68

جبل فوق وادي الباذان، ومقام الشيخ كامل والعجمي جنوب قرية بيت دجن في خربة كفر بيتا، ومقام العزيز الذي يقدسه السامريون في قرية عورتا، والى الشرق من القرية مقام يقال له العزيرات، ومقام الشيخ حاتم في قرية جوريش الذي يقدسه مشاريق نابلس، ومقام ابن عوف في مرتفعات اللبن، والى الغرب من نابلس وعلى رؤوس جبال قرية اللبن مقامات أحدهما طاروجه والثاني وهو الشمالي يقال انه لسعيد بن المسيب، ومقام الشيخ بشارة في حوارة، ومقام الشيخ سليمان فوق قرية بورين، ومقام الشيخ أبو إسماعيل بين حوارة وكفر قلِّيل، ومقام علم الهدى من رجال المناظر فوق جماعين، وفي قرية مردا يوجد مقام الشيخ جمعة ومقام أبي الوفا، وفي قرية الزاوية يقع مقام الشيخ ضرار، ومقام الشيخ علي في المغارة، ومقام الشيخ حامد في قرية تِل، ومقام الشيخ الدسوقي في قرية الطيبة([1])، ومقام الشيخ عطا ومقام النبي رابح في قرية حجة([2]).

أما صخرة الست سليمية فهي عبارة عن مزار تقع في جبل عيبال القائم على مدينة نابلس، وسميت سليمية بذلك نسبة إلى سليم وسليمي وهما إخوان كانا يتعبدان تحت هذه الصخرة، كما ذكر عبد الغني النابلسي إذ قال: (قرأنا الفاتحة لسليمي وسليم، وهما إخوان من الاوليا)([3]).

وهناك خرافة تسود عند عامة نابلس حيث يعتقدون إن سليمية عابدة مصرية طار نعشها، ودخلت في جوف الصخرة، وهم يستدلون بقطعة خشب خارجة من فتحة الصخرة، وصاروا يشعلون لها السرج فكانت الواويات (بنات آوى) تطفئن السرج، وقد دامت هذه الخرافة وما علق بها من نذور إلى عهدٍ قريب، والحقيقة ما ذكره النابلسي أنهما أخوين كانا يتعبدان تحت هذه الصخرة وأن بعض أهل الخير قد بنوا لهما جداراً يظلهما من الشمس، وبعد موتهما قامت فكرة عند بعض عامة المدينة بان تحت الجدار يوجد كنز فهدموا قسماً منه، ويظهر أن سليم وسليمي توفيا

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص174- 180؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص269- 298

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص376

([3]) احسان النمر، المختار، ص24

في وقت واحد، فدفنا بالقرب من الصخرة، وما قطعة الخشب الصغيرة الساكنة في الصخرة إلا جذع من شجرة سماق([1]).

ثالثاً: الزوايا: شاعت في مدينة نابلس عدة زوايا، هي امتداد لتعلق الناس في ذلك الوقت بالأولياء والورعين والزهاد، وأصحاب الطرق الصوفية، وقد مثلت هذه الزوايا مجموعة من طرق التصوف التي سادت وانتشرت، وأدى تنوعها واختلافها إلى حدوث عراك ثقافي عمَّ محلات وقرى المدينة فخُلقت طرق علمية دينية زخرت بها مدينة نابلس.

وجدت في نابلس زوايا لأغلب الطرق الصوفية تقريباً، وهي: الرفاعية، والقادرية، والدسوقية، والبدوية، والشاذلية، وقد بلغت نحو 20 زاوية بحيث شملت جميع الطبقات حتى الأمراء، وكان الواحد منهم يجاز بأكثر من طريقة واحدة، فكان لهذه الطرق أثرها الحميد في الناحية الخلقية والثقافية وإن كان للعلماء عليها بعض المآخذ([2])، وذكر السائح التركي أوليا جلبي أثناء زيارته لنابلس سنة1671م إنه يوجد في نابلس7 زوايا([3]).

وفيما يلي عرض لأهم الزوايا في مدينة نابلس:

1- الزاوية الدرويشية: تقع في محلة القريون([4]) إلى الجنوب الشرقي من جامع التينة([5])، وتضم ضريح الدرويش مراد الرومي، وضريح أخيه الشيخ أحمد([6])، وقد زار الشيخ عبد الغني النابلسي زاوية الدرويشية في أثناء رحلته سنة1101هـ/ 1690م ووصفها بقوله: (فيها ضريح شيخ الكمال والطريقة ومعدن السلوك والحقيقة(الدرويش مراد الرومي) رحمه الله تعالى فلما وصلنا إلى مكانه ودخلنا إلى بيت فيه ذلك الضريح وعليه هيبة التقديس والتسبيح فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى هناك بالكتابة والتصريح)([7]).

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص165- 166؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص13

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص35

([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص150- 151

([4]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص172

([6]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382

([7]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص231

وتدعى الزاوية الدرويشية أيضا بزاوية التوتة الدرويشية لأن بقربها شجرة توت كبيرة تقع إلى الجنوب الشرقي من جامع التينة([1])، ويقال لهـا أيـضا التكيـة الدرويشية، فقد غدت كُتَّاباً ثم أصبحت مدرسة([2])، ويتولى أمر هذه الزاوية في الوقت الحاضر آل البسطامي، ويسمى المكان المجاور لها بالدرويشية نسبة لها([3]).

2- **زاوية الخضر**([4]): تقع جنوب مسجد الأنبياء، وهي غرفة ضمن غرفـة تـشعل عليها السرج، وتقام فيها نوبة الصوفية، تحولت سنة1307هـ/ 1889م إلى مـسجد يدعى جامع الخضر([5]).

3- **زاوية القدم:** تقع في محلة القريون، وهي زاوية القدم الرفاعية للشيخ الـشعبي، ويستعملها آل عبد الهـادي لـدفن موتـاهم([6])، وقـد زارهـا الرحالـة النابلـسي سنة1101هـ/ 1690م، وذكرها بقوله: (فذهبنا إلى زاوية القدم ونحن نمشي علـى القدم وزرنا من هو مدفون من أهل الكمال في الحركة والـسكون وشـهدنا القـدم المرسوم والشهيد المعلوم)([7]).

4- **الزاوية البسطامية**([8]): تقع في محلة الحبلة([9]) في دار سـفيان البـسطامي([10])، ويضيف إحسان النمر أنه وجد مكتوباً على شاهدة الزاوية (بسم الله الرحمن الـرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله: هذا ما أوقف الجناب العالي القادري الذي لله عاقبتـه شيد هذه الزاوية الشيخ عبد الله البسطامي وأصحابه الصوفية في سلخ شـوال سـنة

([1]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص68
([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص172
([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص231؛ انظر الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382
([4]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص196
([5]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص171
([6]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص172
([7]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص154- 155
([8]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 9، 24 ذي القعدة 1245هـ/ 17 أيار 1830م، ص49؛ انظر سجل أراضي ألوية، تحقيق محمد صالحية، ص65
([9]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94
([10]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382

سبعماية وسبعين من هجرة من صلى الله عليه وسلم)، وهذا يصادف زحف التتار من الشرق الأوسط إلى الشرق الأدنى([1]).

5- **الزاوية الصمادية**([2]): تقع في محلة الحبلة، وسميت بذلك نسبة إلى الشيخ مسلم الصمادي([3]).

6- **زاوية الشيخ عماد الدين:** تقع بالقرب من رأس جبل عيبال، وهي أيضا مقام عماد الدين([4]) الذي ذكر سالفا في المقامات.

7- **زاوية النوباني**([5]): تقع غرب مدينة نابلس([6])، وهي ذاتها زاوية الشيخ نظمي، وهي مكان كانت تتلى فيه الأذكار الصوفية، وتعقد فيه الحلقات الدينية([7]).

8- **زاوية الشيخ غانم**([8]): تقع أعلى جبل جرزيم، ويرجح أنها للشيخ عبد الله بن غانم، وهو من ذرية الشيخ غانم بن عبد الله الأنصاري البوريني الذي انتقل للقدس ومات فيها، وفيها مقام لشخص من بني غانم([9]).

9- **الزاوية الحارثية:** تقع في محلة العقبة، وسميت بالحارثية نسبة الى الدرويش بن الحارثية الذي سكنها، إذ كانت ديواناً لخطيب الجامع الكبير الصلاحي، وقبله كانت مستشفى، وقبل ذلك كانت ديراً لكنيسة جستنيان الذي حولها صلاح الدين الايوبي إلى مسجد يعرف بالجامع الصلاحي، ويستعملها اليوم آل الخياط ديواناً للتعزية([10]).

10- **زاوية العمري:** تقع في محلة القيسارية([11]).

11- **الزاوية السعدية:** تقع في محلة الحبلة([12]).

(1) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص554
(2) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382
(3) سجل أراضي ألوية، تحقيق محمد صالحية، ص66
(4) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382؛ انظر مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص102
(5) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص196
(6) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص35
(7) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص67
(8) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94
(9) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص383
(10) المرجع نفسه، ص382؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص35
(11) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص35
(12) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص382

12- زاوية عبد القادر: تقع في محلة الياسمينة([1]).

13- زاوية القبيات وزاوية بايزيد: تقع هاتان الزاويتان في قرية برقة، وهما من الطريقة البسطامية كما يتضح ذلك من وقفين لآل البسطامي، وهما اليوم مزاران([2]).

رابعاً: الأوقاف: الوقف لغة خلاف الجلوس، وتقول وقفت الشيء اقفه وقفاً، الواقف خادم البيعة لأنه وقف نفسه على خدمتها([3])، والوقف أيضاً الحبس والمنع، وحبيس في سبيل الله أي موقوف على الغزاة يركبونه في الجهاد، والحبيس فعيل بمعنى مفعول، وكل ما حبس بوجه من الوجوه فهو حبيس، ومعنى حبيسه أن لا يورث، ولا يباع، ولا يوهب، ولكن يترك أصله ويجعل ثمره في سبيل الخير([4]).

والوقف اصطلاحاً هو عدم جواز البيع ونحوه، فيثبَّت هذا القدر فقط ويبقى الملك ثابتاً فيه للواقف لعدم وجود ما يقتضي زواله يقيناً([5]) إن فكرة الوقف وجدت أشباها لها في النظم القديمة والشرائع السابقة لكن الوقف في الإسلام وضع في سياق يستقل بقواعده ومصادره، فلم يكن نظام الوقف في الإسلام نظاماً مستجلباً أو تجميعياً لعادات عرفية سبقت الإسلام، وإنما هو نظام إسلامي أصيل يستمد إطاره العام من القرآن الكريم، ويستمد أصوله المباشرة من السنة النبوية الشريفة، أما تفاصيل أحكامه فقد جاء بها الفقه الإسلامي، وساهمت فيها كل المذاهب الإسلامية، فالوقف في الإسلام ليس مقصوراً على المعابد والمناسك وما أرصد لها من أحوال ينفق من غلالها عليها، وإنما يتجاوز ذلك الى المعابد والى جميع أنواع الصدقات، فهو يشمل الوقف على النواحي الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية([6]).

([1]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص94

([2]) الموسوعة الفلسطينية، م2، ص383

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مادة وقف، ج9، ص378- 379

([4]) المصدر نفسه، مادة حبس، ج2، ص294- 295؛ انظر تعريف الوقف في المذاهب الفقهية السنية (الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي) عند محمد عبيد الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج2، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1977م، ص9- 47

([5]) عبد الجليل عبد الرحمن عشوب، كتاب الوقف، ط2، مطبعة الرجاء، القاهرة، 1935م، ص7

([6]) سليم هاني منصور، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2004م، ص17- 18؛ سيشار اليه فيما بعد سليم منصور، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر.

وتظهر مشروعية الوقف في قوله تعالى: (يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا أنفقُوا مما رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فيه ولا خُلةٌ ولا شَفَاعَة)[1]، وقوله تعالى: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنْوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُم ومِما أَخْرَجْنَا لَكُم فِي الأرض)[2]، وقوله تعالى: (لَنْ تَنالُوا البِّرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِما تُحِبُّون)[3].

ويُستشهد على إقرار الوقف في السنة النبوية الشريفة في الحديث النبوي (حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة أبي سعيد وابن حُجر قالوا: حدثنا إسماعيل ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[4]، وقال النووي في دلالة على صحة الوقف وعظيم ثوابه، قال:(فالصدقة الجارية هي الوقف)[5].

والوقف في شكله وإقراره بدأ في الإسلام مع بدء العهد النبوي في المدينة المنورة إذ إن وقف مسجد قباء كان أول وقف خيري في الإسلام، الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم، عند قدومه مهاجراً من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ليكون أول وقف ديني في الإسلام، ومع اتساع الدولة الإسلامية تعددت أنواع الوقف وفقاً لمقاصد الشريعة، وأصبح منها المطلق كالوقف الخيري الإسلامي في عمومية المنفعة، ومنها ما اقتصر على الأحباس في وقفيات محددة الغايات كالإنفاق على المدارس ودور العبادة والبيمارستانات(المستشفيات)، والكثير من المصالح الخيرية[6].

وقد كثُرت الأوقاف واتسعت دائرتها الاجتماعية، وقد بلغت المؤسسة الوقفية أوج ازدهارها في العهد المملوكي، وقد يكون ذلك لإضفاء بعض الشرعية

([1]) سورة البقرة، الآية (254).
([2]) سورة البقرة، الآية (267).
([3]) سورة آل عمران، الآية (92).
([4]) مسلم، صحيح مسلم، ج3، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، دار الفكر، بيروت، 1978م، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان بعد وفاته، حديث رقم 1631، ص1255
([5]) سليم منصور، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، ص20
([6]) وقفية خاصكي خُرم سلطان على الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، دراسة وتحقيق محمد سالم الطراونة وماجدة صلاح مخلوف، مطبعة الأزهر، مصر، 2007م، ص11-12؛ سيشار إليه فيما بعد وقفية خاصكي، تحقيق محمد الطراونة وماجدة مخلوف.

على حكمهم والتقرب من الشعب، وقد حظيت الأوقاف في العهد العثماني باهتمام السلاطين والأمراء وعامة الناس، واتخذت الدولة إجراءات للتماشي مع الأوضاع الجديدة إذ تم منع العمل باستبدال الأوقاف ومجازاة البائع والمشتري، وأجاز بعض فقهاء المذهب الحنفي أن يحل إمام الأوقاف بيع الوقف إذا كان بالمسلمين حاجة، وقد أقامت الدولة العثمانية الكثير من المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية، وأوقفوا عليها أوقافاً طائلة في الإنفاق عليها([1]) فعين على الأوقاف الخيرية النظار والمتولون([2]) للإشراف عليها، وتركت الأوقاف الذُّرِّيِّة في عهد القيِّمين عليها وفقاً لوصية الواقف([3]).

وكان النظَّار والمتولون على الوقف في بعض الأحيان يتم استبدالهم إذا ظهر منهم تقصير في إحدى واجبات الوقف، أو لعدم مقدرتهم على إدارة شؤون الوقف، وقد رصدت سجلات المحكمة الشرعية ذلك فيما يخص يحيى بن فخر الدين، ومحمود بن حسن فخر الدين، وهما الناظران الشرعيان على وقف جدهما آل علي الحاج فخر الدين بشر آل جرجي، وذلك حصة جدهما وقدرها الربع6 قراريط من أصل24 قيراط من المصبنة المعروفة بمصبنة أبي سوار بمحلة الحبلة في نابلس بخط العمري، وقد أصبحت خراباً مهجورة بسبب قدمها، ولعدم تفقد المصبنة أوعمارتها وترميمها فقد خربت وسقطت عقودها وصارت خربة ومأوى للصوص والكلاب، وأصبحت غير قادرة على صناعة الصابون، وحتى لا يضيع غرض الواقف إذا بقيت على حالتها، وخصوصاً أنه ليس لدى الناظرين مالاً لتعميرها فقد تم استبدال المصبنة بمبلغ بدل المثل وبزيادة1200 غرش و50 غرشاً صاغ ليصرفاه على عمارة الوقف، عندئذ طلب الحاكم الشرعي الكشف على حالة المصبنة التي

([1]) وقفية خاصكي، تحقيق محمد الطراونة وماجدة مخلوف، ص12- 14؛ انظر فائق نجيب الحسيني، الوقف الإسلامي في فلسطين، (د.ن)، 1938م، ص5- 7

([2]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 12 ذي القعدة 1261هـ/ 12 تشرين ثاني 1845م، ص156؛ انظر محكمة القدس الشرعية، سجل 317، غرة ربيع الاول 1249هـ/ أواسط أيلول1833م، ص127

([3]) وقفية خاصكي، تحقيق محمد الطراونة وماجدة مخلوف، ص14

عليها الوقف، فوافق الحاكم الشرعي على ذلك حفاظاً على الوقف، وتحقيقاً لغــرض الواقف([1]).

كانت الدولة تتولى مسؤولية رعاية الوقف الخاص بــالجوامع والمقامــات وسواها من المنشآت الدينية والعامة، وكان الناظر أو المتولي على الوقف يتم عزله إذا ثبتت خيانته أو تقصيره في عمله كما حدث مع السيد خير الدين فتيان المتــولي على وقف مقام نبي الله يهودا في قرية طلوزة في نابلس، وذلــك (لثبــوت خيانتــه وتركه الوقف بلا تعمير واضاعته حتى خرب وذلك الثبوت لدى نايب محمية نابلوس عمدة الافاضل الفخام السيد عبد الواحد أفندي الخماش بموجب حجة شرعية مؤرخة في أوايل القعدة سنة تاريخه[1247هـ/ 1832م] واذن جناب مولانا الحاكم الشرعي الى المقررين السيد احمد ابن السيد محمد بكري العمري والشيخ احمد فتيان بمباشرة امور الاوقاف المذكورة والقيام بخدمة مقام نبي الله تعالى سيدنا يهودا عليه الــسلام بما فيه الحظ والنفع... وتعمير الاماكن والمقام الشريف عند الاستتابة عند الحاجــة تقريرا واذنا صحيحين شرعيين صادرين مقبولين القبــول الــشرعي وان التوليــة والنظر مناصفة بين المقررين المذكورين النصف للسيد احمد ابن السيد محمد بكري العمري والنصف الثاني للشيخ احمد فتيان تحريرا في اواخر ذا الحجة الحرام ســنة سبع واربعين ومايتين والف)([2])، وأشارت السجلات الشرعية الى وجود أوقاف فــي مدينة نابلس تعود للنبي ابراهيم الخليل عليه السلام وللصحابي تميم الداري رضــي الله عنه([3]).

وفي حالات أخرى خضع الوقف للمعاملات التجارية، فقد كان الوقف يؤجر بعقد إيجار مبرم بين المؤجر والمستأجر بطريقة شرعية لتحقيق الفائدة، فقــد كــان للوقف مصادر يتم تأجيرها من النظَّار والمتولين على أمــور الوقــف ومــن هــذه المصادر مزارع وبساتين أو دكاكين أو دور وغيرها([4]).

([1]) محكمة القدس الشرعية، سجل 318، أوائل جمادى الأولى 1249هـ/ أواخر تموز 1833م، ص38- 39

([2]) محكمة القدس الشرعية، سجل 317، أواخر ذي الحجة 1247هـ/ أواخر أيار 1832م،ص2

([3]) محكمة القدس الشرعية، سجل 317، غرة ربيع الأول 1249هـ/ أواسط أيلول1833م، ص127

([4]) محكمة القدس الشرعية، سجل 319، غرة شعبان 1250هـ/ أوائل كانون أول 1834م، ص50

وورد في سجلات محكمة نابلس الشرعية عدد من الحجج الخاصة بالوقف إذ كان لكل وقف دفاتر خاصه به تعرف بـــ (دفاتر الوقف)([1])، التي يحفظ بـــداخلها قيمة الوقف، ومساحته، وأسماء الذين توالوا على إدارة شـــؤون الوقـــف وأعمـــال الترميم والزيادة التي شهدها الوقف، إضافة إلى إنفاق جزء من الوقف على القائمين على الوقف وهم النظَّار والمتولون كأجراً معلوماً لهم، وغالباً ما كان يعـــيَّن علـــى الوقف ابن المتوفى أو أحد أحفاده في حال عدم وجود أبناء للمتوفى سواء بسبب عدم الإنجاب أو وفاتهم، ويتم تسجيل ذلك في المحكمة عند الحاكم الـــشرعي، وبـــشهادة شاهدين ويعرف هذا التسجيل بـــ (كتاب الوقف)([2])، الذي هو عبارة عـــن تـــصريح لإدارة شؤون الوقف.

وقدمت السجلات الشرعية أيضاً عناصر الوقـــف ومقوماتـــه مـــن خـــلال الحجج، التي تنحصر في اسم المالك وهو صاحب الوقف، ومكـــان تواجـــد الوقـــف ونوعه دكان أم بستان أم مصبنة أو غير ذلك([3])، وما يشتمل عليه الوقف من غرف ومعدات تفصيلاً([4]) ومساحة الوقف الذي كان يحسب بالقيراط([5]).

وقد شملت الأوقاف معظم مصادر الثروة الاقتصادية في العهد المـــصري لبلاد الشام كالأراضي الزراعية، والدور، والـــدكاكين، والمعاصـــر، والحمامـــات، والطواحين، والمدابغ، والأفران، ومخازن، الغلال، والسفن التجاريـــة، والنقـــود([6])، التي كانت وقفاً خيرياً يصرف في أوجه الخير عامة من مدارس ومساجد أو للفقراء والمحتاجين وغيرهم، أو وقفاً ذرياً ينحصر في ذُرِّيَّة الواقف.

ويتضح أن أماكن العبادة في مدينة نابلس احتلت مكانة عالية عند مجتمـــع المدينة، سواء عند المسلمين أو عند أهل الذمة، فكانت هناك أوقاف حبـــست علـــى

([1]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10، ذي القعدة 1255هـ/ كانون ثاني 1840م، ص1

([2]) محكمة نابلس الشرعية، سجل10،غرة ذي القعدة 1255هـ/ أوائل كانون ثاني 1840م ، ص5

([3]) محكمة القدس الشرعية، سجل 318، أوائل جمادى الأولى 1249هـ/ أواخر تموز 1833م، ص38- 39

([4]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 25 رجب 1257هـ/ 11 أيلول 1841م، ص59

([5]) محكمـة القدس الـشرعية، سجل 317، غـرة ربيـع الأول 1249هـ/ أواسط أيلـول 1833م، ص127؛ انظر محكمة القدس الشرعية، سجل 324، أوائل محرم 1257هـ/ أواخر شباط 1841م، ص80

([6]) سجل أراضي ألوية، تحقيق محمد صالحية، ص57

الجامع الكبير الصلاحي، وجامع النصر، وجامع التينة، والجامع الحنبلـــي، وجـــامع الساطون، وأوقاف أخرى وقفت على مغارة أولاد يعقوب، وقبـــور النبيـــين يحيـــى وزكريا في قرية سبسطية، ومقام العمود الواقع شرقي المدينة([1])، وقد كان للجـــامع الكبير الصلاحي عدة أوقاف منها: طاحونة الدبس، ودكان خليل في ســـوق العنـــب، ودكان عمر، ودكان يونس بن عبد الله، ودكان لوزة، ودكان البرادعي، ودكان علي سكاكس، ودكان الخياط بجوار الجامع، ومجموعة دكاكين بجوار الجامع المذكور([2]).

وقد كان الأئمة والخطباء والمؤذنون وخدمة الجوامع يتقاضون رواتبهم من أراضي وعقارات المساجد والمدارس الموقفة بنسبة رواتبهم([3]). أما عـــدد أوقـــاف نابلس في أحد عقودها من سنة954هــ/1547م، فقد كان23 وقفية، وعدد مـــصادر الوقفيات141 مصدراً([4]). أما الواقفون فكانوا من نواب الـــسلاطين أو مـــن أمـــراء الجيوش أو القضاة أو الأشراف أو الأعيان أو الشيوخ أو من السكان المحليين مـــن أهالي نابلس أو من الوافدين إليها من الحجاز وبلاد الشام ومـــصر، ولـــم تقتـــصر الأوقاف على دُور العبادة فقط بل شملت أيضا المنشآت العامة، فقد وجد في نـــابلس بيمارستان يقع غربي الجامع الكبير الصلاحي وقفت عليه مجموعة حصص لدكاكين قائمة في محلة الغرب، وفي سوق المربعة، والسوق الغربـــي، والـــسوق الـــشرقي، وسوق اللحامين، وقرب عين السوق([5]).

خامساً: المنشآت النصرانية: ما أن انتشرت المسيحية في مدينـــة نـــابلس، بـــشكلها الرتيب غير الكثيف، حتى عمَّ العداء مع اليهود السامريين الذين كانوا منذ زمن فـــي مدينة نابلس([6])، وقد شيدوا الكنائس والأديرة في المدينة، ومنها:

1- بَنَتْ الملكة هيلانة والدة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين كنيسة كبيرة فخمة بطول25 متراً وعرض43 متراً فوق بئر يعقوب فـــي ق4م، وزيَّـــن الإمبراطـــور

([1]) سجل أراضي ألوية، تحقيق محمد صالحية، ص56

([2]) أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، تحقيق محمد إيشرلي ومحمد داود التميمي، ص85

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص228

([4]) أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، تحقيق محمد إيشرلي ومحمد داود التميمي، ص ل

([5]) سجل أراضي ألوية، تحقيق محمد صالحية، ص54- 56

([6]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص16؛ انظر لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص196

جستنيان الكنيسة بالزخارف، ولم يتعرض العرب المسلمين للكنيسة بأذى عندما فتحوا البلاد في العهد الراشدي، وبقيت الكنيسة على حالها حتى تهدمت عام1009م في العهد الفاطمي، ثم عمرها الصليبيون عام1154م ثم هدمت عام1187م بعد خروجهم من البلاد على إثر معركة حطين، وفي عام1555م تولت الكنيسة الأرثوذكسية حراستها بأمر من الدولة العثمانية، وبعد ذلك تم بناء كنيسة جديدة على آثار الكنيسة القديمة([1]).

2- كنيسة بُرقين: هي من أقدم الكنائس في فلسطين، وهي نسبة للبرقان أي البرص الذين شفاهم السيد المسيح عليه السلام بإذن الله تعالى، وكانوا سبعة قد سُد عليهم المكان، وكانوا يقدمون لهم الطعام من السقف بالدلو، وبعد شفائهم آمنوا واتخذوا المكان للعبادة، وعندما ماتوا تم دفنهم في الكنيسة، ولم يظهروا قبورهم لئلا يحرقهم الوثنيون([2]).

3- دير اللاتين: بعد اصطدام أسعد سروفيم بالبطريك، غيَّر مذهبه وتمذهب بالمذهب الكاثوليكي فعمَّد أولاده وقد تبِعه على ذلك أقاربه وعائلات أبو ليصة وسوداح والموج، وقد اشتروا قطعة أرض من الشيخ إبراهيم القطب سنة1868م وبنوا عليها دير اللاتين، وقد اجتذب المبشرون البروتستانت الالمانيون والبريطانيون عائلات طقطق، وعبد النور، وكفينا فتمذهبوا بالبروتستانتية، وقد اشتروا قطعة أرض من السيد علي النقيب وأنشأوا عليها دير فنشأ معه كنيسة ودير([3]).

4- المقبرة البيزنطية: يعود تاريخها إلى ق5 م، وتحتوي على أعمدة منحوته بالصخر الأبيض نحتاً فنياً جميلاً ويعتقد بعضهم أنها مقبرة لأُسر غنية([4]).

تعرضت الكنائس في مدينة نابلس ومدن فلسطين وبلاد الشام للغزو الصليبي الذي خلَّف وراءه آثاراً دينية منها الكنائس التي تهدمت، أو حولت فيما بعد إلى جوامع في العهد الإسلامي، لكن بقيت بعض الأديرة والكنائس القديمة قائمة إلى فترة المتسلمية في العهد المصري، والى ما قبل الاجتياح الإسرائيلي على نابلس في

([1]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744
([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص183
([3]) المرجع نفسه، ج2، ص37- 38
([4]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص744

نيسان2002م لان أحدها هدم جراء الاجتياح كما حصل لكنيسة الروم الأرثوذوكسية التي تهدم قسم منها في الاجتياح الإسرائيلي على البلدة القديمة في2002/4/3م([1]).

المنازل: حظيت المنازل في نابلس وغيرها من المدن الإسلامية، بالعناية والاهتمام الكبير لأن هذه المنازل لم تشيد لتكون مجرد مأوى يأوي إليه أصحابها بقدر ما أعدت لتوفِر لسكانها كل أسباب الراحة، لذلك بولغ في توفير هذه الأسباب، وقد تفاوتت هذه المنازل من حيث البناء والأبهة تفاوتاً يتناسب والمكانة الاجتماعية التي كان عليها أصحابها ففي الوقت الذي نجد فيه بيوت الأغنياء فخمة ومكونة من عدة طبقات ومغطاة بالرخام وتحتوي في داخلها على غرف كثيرة وقاعات وحدائق تجلب الراحة للنفس، نجد منازل الفقراء قد بنيت بشكلها البسيط الرتيب غير المكلف، وغير متعددة الطبقات([2]).

ويمكن القول أن المنازل الفخمة في نابلس كانت في أغلبها مؤلفة من عدة أجزاء يأتي في مقدمتها البيت السكني الذي تعددت أحجامه فمنها الكبير ومنها الصغير، واحتوى البيت الكبير على خزنة، وفي العادة كانت هذه الخزنة تزخرف بالفنون دليل البركة والنعمة، وتستعمل في حفظ المواد الغذائية المعدة للاستهلاك اليومي، كما وجدت(الراوية) وهي السدة أو المكان المرتفع داخل البيت، وكانت تستعمل لخزن الغلال كالزيت والقمح لفترة طويلة، وكذلك الديوان المعد لاستقبال الضيوف وكان منفصلاً عن مأوى النساء بحيث يصعب رؤية النساء في حالة تصادف وجود الضيوف في الديوان([3]).

احتوى المنزل الواحد على عدة طبقات منها السفلي والعلوي([4])، وكل جزء من السفلي والعلوي احتوى أكثر من بيت، فبعضها احتوى على ثلاثة بيوت علوية وثلاثة بيوت سفلية، وبعضها احتوى على أربعة بيوت أوخمسة([5]) والذي يصعد إلى

([1]) آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص68

([2]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص161- 162

([3]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص104- 105

([4]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، أواخر جمادى الآخرة 1258هـ/ أوائل حزيران 1842م، ص85

([5]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 9، غرة ذي الحجة 1252هـ/ أواسط آذار1837م، ص202

الطبقة العلوية يستخدم سلماً حجرياً من الدار السفلية([1])، بالإضافة إلى وجود الساحة السماوية([2]) غير مغطاة، وسميت بذلك لان سقفها السماء فهي غير مسقوفة، وكـذلك وجود ساحة مغطاة وتعرف بالإيوان([3]) وكان هنـاك الإيـوان التحتـاني والإيـوان الفوقاني([4])، وهناك الإيوان السفلي والإيوان العلوي([5]) بالإضافة إلـى وجـود بئـر ماء([6])، ومنافع ومرافق عامة للمنزل([7]) من مطبخ وأدب خانة(الحمـام)([8])، ويمكـن إجمال المساكن من ناحية تخطيط بنائها إلى نوعين هما([9]):

1- المساكن ذات الباحة السماوية: وقد أخذ هذا الطراز عـن الأمـويين حيـث تكون سقوف الغرف على نوعين: ذات عقود أو مسطحة، وتحتل الباحة المكـشوفة وسط المنزل، وتصطف الغرف على جوانبها بشكل متقابـل، وتخـصص إحـداها للمنافع وأخرى للضيوف، وهذه في الأغلب تكون الى جانب مدخل البيت، وتخصص بقية الغرف للنوم، وقد يخصص جزء من الساحة لحوض ماء صغير.

2- المساكن ذات القاعة الوسطى: وهي شبيهة في تخطيطها بالنوع الأول إلا ان مساحتها الوسطى مسقوفة، وتخصص عادةً للضيوف، وغالبا مـا تكـون البيـوت مستوية السقوف، ويطلق على الساحات المغطاة اسم(الإيوان)، وتـسمى الـساحة إذا كانت مكشوفة.

اختلفت مظاهر الأبواب والنوافذ ومساحتها والمـواد المحكمـة لهـا تبعـاً لاختلاف مواضعها، فالأبواب الخارجية عريضة ومرتفعة ومجهزة بأبواب حديديـة أو خشبية من دفة واحدة في الغالب. أما الداخلية فهي أقل عرضاً وأكثر طولاً وتغلق بأبواب خشبية. أما أشكالها فأخذت سقوفها شكل نصف القـوس، أو المـسطح مـع

([1]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، غرة شعبان 1258هـ/ أوائل أيلول 1842م، ص71
([2]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 9، محرم 1247هـ/ حزيران 1831م، ص22؛ محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 20 صفر 1257هـ/ 12 نيسان 1841م، ص41
([3]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، أواخر ربيع الثاني 1257هـ/ أواسط آب 1841م، ص47
([4]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 25 رجب 1257هـ/ 11 أيلول 1841م، ص59
([5]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، غرة شعبان 1258هـ/ أوائل أيلول 1842م، ص71
([6]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، أواخر ربيع الثاني 1260هـ/ أواسط تموز 1844م، ص117
([7]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 10، 1261هـ/ 1845م، ص174
([8]) محكمة نابلس الشرعية، سجل 9، محرم 1247هـ/ حزيران 1831م، ص22
([9]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص740

مراعاة أن تكون جوانبها قد بنيت من الحجارة المنحوتة المنسقة. وما قيل عن الأبواب ينطبق على النوافذ التي لا تزيد في تصميمها عن الأبواب سوى بوضع شبكة من القضبان الحديدية بأشكال هندسية متعددة مع مراعاة الجمال والأناقة، وكان لكل غرفة على الأغلب نافذة أو اثنتين، ومنها ما كان باتجاه شروق الشمس أو غروبها، ووجدت النقوش على الأبواب والنوافذ والأعمدة التي أخذت أشكال متنوعة كالحلويات والأواني والأعشاب المستمدة من الطبيعة، ورسمت الخطوط على سُبل الماء وعلى بعض مداخل البيوت وعلى شواهد القبور التي كتبت بالخط الكوفي، وتظهر سقوف البيوت القبابية، والمسطحة المستوية([1]).

ويمكن تقسيم أماكن انتشار المساكن في مدينة نابلس الى ثلاثة أقسام على النحو التالي([2]):

المنطقة الأولى: تقع شرق المدينة في مدخلها وعلى الجزء من أقدام جبل عيبال الشرقية، وقسم صغير آخر يقع في الغرب على أقدام عيبال، وثالث يقع على سفوح جبل جرزيم، وتمتاز تلك المناطق بمبانيها الحديثة الطراز وطرقها الجيدة.

المنطقة الثانية: تحتل أكبر المناطق السكنية مساحة، وتشغل معظم سفوح عيبال، ومعظم منطقة غرب المدينة بما فيها واديها الأوسط، وتشغل جزءاً من جرزيم تبدو على شكل إطار يحيط بالمدينة، وهي أقل فخامة من سابقتها.

المنطقة الثالثة: تشغل السفوح الوسطى لجبل جرزيم وأقدام عيبال الوسطى والغربية، وهي أكبر مساحة من المنطقة الأولى وأقل من الثانية، وتتشابه في نمطها العمراني ومستواه مع المنطقة الثانية.

إن فن البناء النابلسي خاصة في البيوت السكنية تأثر بعدة عوامل منها عوامل طبيعية وعوامل دينية وعوامل اقتصادية. أما العامل الطبيعي الذي ميز مدينة نابلس عن غيرها فهو حتمية استخدام الحجارة كمادة أساسية في البناء؛ فالمدينة محاطة بجبلي عيبال وجرزيم، فشيدت البيوت المنحوتة من الحجارة المهذبة، وأثَّر العامل الديني في بناء المدينة فقد حرص السكان على المحافظة التامة على حرمة

([1]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص740- 742؛ انظر بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص105- 106

([2]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص739

بيوتهم، وسترها عن أعين الآخرين وبخاصة الساحة السماوية لإقامة النساء وجلوسهن، وقد حدد للديوان مدخل مستقل لضمان حجب النساء عن أعين الزائر، أو القادمين من البيوت المجاورة، أما النوافذ التي كانت تعرف بالطاقات فكانت مطلة غالباً على الطريق السالك أو الحوش. في حين أثَّر العامل الاقتصادي على مساحة البناء وشكله فتعددت أنماط المساكن([1]). فقد امتازت بيوت الأغنياء في نابلس بالفخامة إلى درجة دفعت السائح التركي أوليا جلبي بتشبيهها بالحصون، فقد كانت مبنية بناءً جيداً ومكسوة بالجبص([2]).

تعرضت المنازل في نابلس للتجزئة بسبب عمليات حصر الإرث لإعطاء الحرية للأبناء بما آل إليهم من ميراث، فقد بيعت أجزاء من المنزل الداخلية مما فتت وحدة البيوت نتيجة لعمليات حصر الإرث وتوزيع الحصص على الورثة بحكم الشرع([3]).

سادساً: المالكانة: تعتبر المالكانة إحدى أملاك السلطان التي كانت تمنح فوق التيمار إلى أمراء الجيش إذا أبدوا شجاعة فائقة، وقد وجد هذا النوع في جبل نابلس فقد كان هناك9 قراريط في حمام الريش و4 بساتين، وأراضي، وأعشار مدينة نابلس، وعصيرة الشمالية، ونصف باقة الشرقية، ومسلية، وسالم، ففي سنة1148هـ/ 1735م وقعت حرب بين العثمانيين وروسيا فسافر آلاي سباهيات نابلس بقيادة إسماعيل آغا بن عمر آغا النمر بالوكالة عن عمه الميرآلاي محمد آغا النمر واشترك بتلك الحرب، ونظراً لما أظهره هذا الشاب من البسالة في تلك الحرب منحه السلطان محمود الأول مالكانة نابلس، واستمرت مع آل النمر، وقد جددت ببراءة سلطانية أخرى في29 رجب سنة1171هـ/ 8 نيسان 1758م لورثته ثم انتقلت المالكانة إلى آل طوقان، وكان ذلك سبب في حدوث نزاع بين آل النمر وآل طوقان([4]).

([1]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص95- 96
([2]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص162
([3]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص106 -107
([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص237- 239

سابعاً: الحمامات: تعتبر الحمامات إحدى المنشآت العمرانية المدنية التي اشتهرت بها المدن الإسلامية على مر عصورها. فقد كانت هذه الحمامات تُقصد من قِبل الجنسين الرجال والنساء، ومن مختلف الطبقات، فكانت الحمامات إحدى واجبات الحياة التي يمر بها السكان في ذلك الوقت.

ولعل كثرة انتشار الحمامات راجع إلى عدة أسباب وعوامل هي([1]):

1- العامل الديني: لما تتطلبه الصلاة والصوم وقراءة القرآن من الطهارة والنظافة الجسدية.

2- العامل الاقتصادي: الذي تمثل في الدخل اليومي الوفير الذي كانت تدره هذه الحمامات على أصحابها، وبخاصة إذا كانت قريبة من الخانات(الفنادق) الكبيرة التي يكثر عدد نزلاؤها مثل حمام الدرجة في نابلس مما نبه الحكومة الى فرض بعض الضرائب عليه، وبخاصة بعد أن انتشر بين الناس المثل القائل: (دخول الحمام مش متل خروجه) دلالة على التكلفة، وكانت الحمامات في نابلس تشاد بالقرب من عيون الماء للاقتصاد في تكلفة نقل الماء إلى صهريج الحمام.

3- العامل الترويحي: فقد أخذت الحمامات جانب اللهو والترف لتغيير طبيعة الروتين اليومي فلم يرتاده الناس فقط للطهارة والوضوء فحسب فقد كان الخلان يدعون بعضهم إلى زيارة الحمام للترويح عن أنفسهم، وغالباً ما كان مرتادو الحمام يجلبون معهم الأطعمة والأشربة والفاكهة.

4- العامل الصحي: يعتبر الحمام فائدة صحية للشفاء من بعض الأمراض الجلدية والصدرية والمفاصل، فقد كانت القابلات يطلبن من المرأة النفاس القدوم إلى الحمام في اليوم السابع من ولادتها فقد كانت للقابلات في نابلس خلوات خاصة في الحمام، وكانت هذه الخلوات تعرف باسمهن.

5- عامل اجتماعي: كان يقطن المنزل خلق كثير، فقد ساد في دور نابلس كغيرها من مدن الشام آنذاك مصطلح الأسرة الممتدة من الأجداد إلى الأبناء والأحفاد، وفي بعض الأحيان يضاف إليهم الأعمام والعمات، وغيرهم فلا يعقل أن

([1]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، مجلة جامعة النجاح، (د. ع)، (د. ت)، ص83- 86؛ سيشار إليه فيما بعد وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس.

تتم في مثل هذه الأجواء عملية الاستحمام، علاوة على ارتفاع تكلفة تسخين الماء في تلك الفترة فكانت الحمامات بالنسبة لهم أفضل من الناحية الاجتماعية، وأوفـر مـن الناحية الاقتصادية.

6- عامل التنقل والترحال: كانت الرحلة التجارية والعلمية بين المدن الإسلامية في تلك الحقبة تتطلب جهداً جهيداً، فقد كان المسافر يقطع المسافات ماشياً أو راكبـاً على دابته، فلا بد للمسافر الذي يصادف التعب والمشقة أن يستريح من عناء السفر فينزل المسافر في إحدى الحمامات العامة ليزيل عن جسده الغبار والعرق، ليـشعر بالتحسن والأريحية، وقد كانت أغلب الحمامات تشيد بقرب الخانات(الفنادق) حتى لا يجد الغريب المسافر صعوبة في الوصول إليها.

واستخدم الصابون النابلسي في حمامات نابلس وغيرها من مدن بلاد الشام والوطن العربي، لما امتاز به من خاصية طبيعية لأنه يصنع من زيت الزيتون الذي له فائدة صحية عند استعماله على الجلد والمفاصل والجسد بشكل عام.

والحمام منشأة معمارية كبيرة شيد من الحجارة والكلس وواجهاتـه كبيـرة خالية من الفتحات، وله باب واسع، وتغطي جميع حمامات نـابلس قبـاب كرويـة يتخللها فتحات صغيرة مغطاة بالزجاج للسماح بدخول أشعة الـشمس أمـا أجـزاء الحمام في مدينة نابلس فهي على النحو التالي([1]):

1- الجدران: تمتاز جدران الحمام بعرضها حتى تكون مقاومة للعوامل الجوية، ويطلى أسفلها بالقار. أما نصفها العلوي فيطلى بالألوان المتعددة، وتكثر على جدران الحمامات الزخارف كما في الحمام التميمي، وأما حمام القاضي في نابلس فيوجد به نقش الهلال الإسلامي.

2- الأرضيات: غُطِيت أرضيات حمامات نابلس بالرخام الأبيض والأسود.

3- غرفة الاستقبال أو المشلح الصيفي: وهي غرفة يتوسطها نافورة ماء يدخلها من يرغب بالاستحمام، ويحيط بها مصطبة ترتفع عن الأرض بعض الشيء حيـث

([1]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص91- 95؛ انظر رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص164- 165

يتم فيها خلع الملابس واستبدالها بالمآزر، وفي إحدى أركان الحمام غرفة الحمـــامي الذي يتولى مراقبة المبنى وتوزيع الصابون والمناشف، وبجانبه مصطبة المزين.

4- دهاليز الحمام: تتميز بالضيق والارتفاع بعض الشيء، وتصل أجزاء الحمام مع بعضها ببعض.

5- غرفة المشلح الشتوي: التي تستخدم فقط في فصل الشتاء لخلع الملابس.

6- بلاط الحمام أو بيت الحرارة: وهي غرفة تقع بعد المشلح الـــشتوي، وهـــي مرتفعة الحرارة، ويجلس من يرغب في التدليك أو التخلص من البرودة فيها فتـــرة من الوقت.

7- الخلوات: وهي عبارة عن غرف صغيرة تحـــيط بغـــرف بـــلاط الحمـــام، وتتفاوت أعداد الخلوات المتوفرة في كل حمام، فحمام الجديدة في نابلس فيه5 خلوات وحمام البيدرة فيه6 خلوات.

8- القميم: وهو بيت النار وهو عبارة عن فرن عليه قِدر كبيـــر مـــن النحـــاس مملوءة بالماء الساخن، ويدخل الهواء من أسفل غرفة بـــلاط الحمـــام إلـــى مكـــان الاستحمام من خلال مواسير من الرصاص، ويخرج الدخان الناتج عن النـــار إلـــى الخارج من خلال منافذ خاصة.

9- المغاطس: كان يوجد في كل حمام من حمامات نابلس مغطس متواجد فـــي كل خلوة من خلوات الحمام ويستخدم للغطس.

10- أبواب الحمام: امتازت أبواب الحمام الداخلية بالقصر بشكل ملفت للنظـــر باستثناء بوابة الحمام الرئيسة، وذلك للمحافظة على درجة الحرارة داخل الحمام.

عندما زار السائح التركي أوليا جلبي مدينة نابلس سنة1671م أورد أن فيها حمامان عموميان([1])، وتنتشر في نابلس عدد من الحمامات العامة في أغلب محلات المدينة ومن أهم هذه الحمامات:

1- حمام السمرة([2]): يقع في محلة الياسمينة([3])، وسمي حمام السمرة بهذا الاسم لوقوعه في الحي الذي تقطنه الطائفة السامرية في جادة محلة الياسمينة، وأما لوجود

([1]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص150- 151

([2]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص95

([3]) سجل أراضي ألوية، محمد صالحية، ص65

خلوة فيها مغطس مقصور على هذه الطائفة، وهذا يدل على أن الحمامات لم تكن مقصورة على فئة معينة أو على أصحاب ديانة دون أخرى([1]) فالحمامات كانت أماكن عامة يرتادها عامة الناس على اختلاف طبقاتهم وأطيافهم وانتماآتهم.

2- حمام القاضي([2]): في محلة الياسمينة([3]).

3- حمام الجديدة: يقع على مقربة من جامع البيك من جهة الجنوب([4]).

4- حمام الريش([5]): يقع في محلة الياسمينة في حي القريون([6]) في أول الطريق المؤدية الى الجامع الكبير الصلاحي([7]).

5- حمام البيدرة: في حي القريون وعلى مقربة من حمام الريش([8]).

6- حمام التميمي([9]): يقع في نهاية سوق السلطان في الجهة الشمالية الشرقية([10]).

7- حمام الدرجة([11]): يقع خلف الجامع الكبير الصلاحي في محلة الياسمينة([12]).

8- حمام الخليل([13]): يقع في محلة الحبلة شرقي الجامع الكبير الصلاحي([14]).

ويقوم على خدمة الحمام عادةً خمسة رجال على الأقل، وهم([15]):

1- الحمامي: وهو الذي يستأجر الحمام أو مالك الحمام أو الحممجي، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الحمامي مالكاً للحمام، فالعادة في نابلس أن يستأجر الحمامي الحمام من أصحاب الملك بأجر معلوم، ونتيجة لارتفاع أجرة الحمام الباهضة فان

([1]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص88
([2]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص195
([3]) مسلم الحلو، موسوعة المدن الفلسطينية، ص742
([4]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص89
([5]) محكمة القدس الشرعية، سجل 318، 23 ذي الحجة 1249هـ/ 3 أيار 1834م، ص107؛ انظر لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص195
([6]) سجل أراضي ألوية، محمد صالحية، ص65
([7]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص163
([8]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص95
([9]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص195
([10]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص89
([11]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، 195
([12]) رئيسة طلب العزة، نابلس في العصر المملوكي، ص163
([13]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، 185
([14]) بهجت صبري، المظاهر العمرانية في مدينة نابلس، ص95
([15]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص95

مالكي الحمامات في نابلس كانوا من كبار الأغنياء أمثال آل عبد الهادي، والغزاوي، والخماش، وآل النمر وغيرهم.

2- القيم: ويعرف باسم(المكيس) وظيفته استقبال الزبائن، ويلبسهم المآزر، وفي بعض الأحيان يجبر الأجسام، ويدلك من أراد التدليك.

3- الزبال: المسؤول عن الوقود لان الوقود عادة كان من الزبل اليابس، وأعشاب الجبل.

4- السقاء: كان يجلب الماء من العيون والسواقي.

5- المزين: يوجد في بعض الحمامات مزين للشَعر، وبائع مرطبات. وفي أيام المواسم كالأعياد يصل عدد العاملين الى20 عاملاً، فبدل أن يكون هناك زبال واحد يصبحون أربعة، وكذلك بالنسبة للمكيس والسقاء.

كان في نابلس جماعة مسؤولين عن الحمام عرفت باسم جماعة الحمام، ومنهم: يعقوب بطبوط، واحمد سعد، والحاج محمد موسى، وأبو ملحم، والحاج سعد([1])، وتم وضع مجموعة من النظم والقوانين التي يجب على صاحب الحمام التقيد بها، ومن جملة هذه القوانين([2]):

1- يطلب من صاحب الحمام القيام بكنسه وتنظيفه بالماء الطاهر غير ماء الغسالة، وأن يدلك البلاط بالأشياء الخشنة كي لا ينزلق الناس.

2- على صاحب الحمام استعمال البخور مرتين في اليوم.

3- لا ينبغي دخول الحمام من كان مجذوماً أو أبرص.

4- ينبغي أن يكون للحمام مآزر تؤجر للناس، وأن تكون عريضة حتى تستر مابين الصرة والركبة.

5- على صاحب الحمام أن يفتح الحمام في السحر لحاجة الناس إليه للتطهر قبل الصلاة، وفي حالة مرضه عليه اختيار من ينوب عنه.

6- لرجل الشرطة الحق بتفقد الحمام في كل الأوقات، ويتم معاقبة كل من يقوم بأعمال لا أخلاقية.

([1]) أسد رستم، الأصول العربية، م2، وثيقة125، 29 جمادى الآخرة 1249هـ/ 14 أيلول 1833م، ص96

([2]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص86

7- لما كانت الحمامات تستخدم مناصفة بين الرجال والنساء، طُلِبَ من صاحب الحمام أن يغسلها جيداً بعد مغادرة الرجال لها وأن تترك لمــدة مــن الوقــت دون استعمال ثم يرتاد النساء الحمام.

ولما كان الحمام مناصفة بين الرجال والنساء كان الحمامي في نــابلس إذا كان موعد الحمام للرجال يضع على بوابة الحمام منشفة أو قطعة قماش كبيرة فــي حال عدم معرفة موعد دخول الرجال، وفي بعض الحمامات يكون موعــد دخــول الرجال قبل صلاة الفجر حتى الظهر، وموعد دخول النساء من صلاة العصر حتــى المغرب، وقد وجد في بعض الحمامات يوم خاص للرجال، وآخر للنــساء، بحيــث يكون لأهل البلد شعار بذلك في الموعد المحدد للرجال بدخولهم الحمام([1]).

ثامناً: الخرب أو الخرائب: الخَرابُ ضد العمران والجمع أخربة، والخربة موضــع الخراب والجمع خربات ففي الدعاء (اللهم مخرب الدنيا ومعمر الآخرة) أي خلقتهــا للخراب، والأخراب أن يترك الموضع خرباً، والتخريب الهدم والمراد به ما يخربــه الملوك من العمران وتعمره من الخراب شهوه لا إصلاحاً، ويدخل فيه مــا يعملــه المترفون من تخريب المساكن العامرة لغير ضرورة وإنشاء عمارتها([2]).

تنتشر الخرب المتعددة الكثيرة في معظم مدينة نابلس فتكاد لا تخلو ناحيــة أو قرية في المدينة من خربتين أو أكثر، الأمر الذي يدل على أن هذه البقعة كانــت عنصر استقطاب للجنس البشري، ومرد ذلك إلى الطبيعة التي تميزت بهــا مدينــة نابلس، وهي طبيعة معتدلة مستلهمة من مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط، وهــو مناخ ملائم لاستقرار الأمم والشعوب، إلى جانــب الموقــع الاســتراتيجي الأمنــي والدفاعي الذي وفرته الجغرافيا لمدينة نابلس الجالسة وســطاً بــين جبلــي عيبــال وجرزيم.

توجد خرائب في جميع أنحاء نابلس سيما قضاء جماعين منهــا: الجراعــة وريسون، وحول كفر ثلث. وفي منطقة طوباس خرائب كثيرة لا يظهــر منهــا إلا الأنقاض، وهي إما خربت بفعل الحروب أو من الزلازل أو لفناء أهلهــا بالأوبئــة،

([1]) وائل أبو صالح، الحمامات العامة في مدينة نابلس، ص96

([2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة خرب، ج3، ص48

وطالما وجدت بين أنقاضها تحف ومعادن ومجوهرات بيعت، فكانت سبباً لثراء فجائي لبعض الأشخاص، وبعض هذه الخرائب كشفت، وبعضها الآخر لا يزال مطموراً، وبعضها بارزٌ كخربة النجمة من جهة حوارة وبيت الخربة إذ وجدت فيه أحجار فسيفساء فهو بيزنطي، كخربة العجمي في كفر بيتا، وخربة عين عوليم وراء العرمة للغرب([1]).

وقد ذكر الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين عدداً من الخرائب، ومنها: خربة ذياب وخربة العقود في قرية بلاطة، وخربة تل مسكة في قرية دير الحطب، وخربة رأس الديار وخربة شويحة في بيت دجن، وخربة تانة الفوقا وخربة تانا التحتا وخربة كفر بيتا في قرية بيت فوريك، وخربة الرأس وخربة حية وخربة الشرارية وخربة شراب في قرية عورتا، وخربة العُرمة وخربة الكروم وخربة الطويل في قرية عقربا، وخربة القريق وتعرف(الكرك) وخربة نبُّوح في قرية قصرى، وخربة قرقفة وخربة كفر عطية في قرية جوريش([2])، وخربة الشيخ غانم وخربة القصر أو السارين في قرية كفر قِليِّل، وخربة مخنة وخربة عمرة في قرية بورين، وخربة عطارود وباب بيت الخربة في حوارة، وخربة كفرور وخربة الصورتين وخربة الصور في قرية تل، وخربة المِقْبِلَة في قرية حجة([3]).

وفي قرية دير شرف خرب كثيرة منها خربة الدُّوَير، وخربة كفر فارات وخربة قابويا، وتقع خربة اللوز في سبسطية، وخربة سُميط وخربة عُطفُر وخربة العقد في قرية طلوزة، وخربة امقيسيمة وخربة حُمُّصة وخربة عاطوف وخربة تل أبي رمح وخربة ام حجر وخربة ام الكبيش في قرية طمون، وخربة عينون وخربة يرزة وخربة موقية وخربة أم القطن في قرية طوباس([4])، وخربة الشجرة وخربة مرار في قرية سلفيت([5])، وخربة التنورة وخربة البساتين وخربة النجارة في قرية سنيرية([6]).

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص192
([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص281- 318
([3]) المرجع نفسه، ص344- 376
([4]) المرجع نفسه، ص392
([5]) المرجع نفسه، ص510
([6]) المرجع نفسه، ص55

تاسعاً: الآثار: تركت يد الإنسان وأعماله مخلفات دلت على أصالة وجـوده، ومـا أبدعه العقل البشري في مختلف فنون العمارة من النقش والنحت والرسـم والبنـاء الهندسي الفريد الذي يخبر عن وجود إنسان أبدع عقله فنفَّذت جوارحـه لوحـات لا زالت شاخصة ناطقة رغم صمتها، تنقل الناظر إلى مرآة الحقبـة التاريخيـة التـي تجسدت فيها تلك الآثار والمخلفات المادية الغنية، وذلك في ضوء ما توفر للمعماري والفنان من آلات ومعدات يدوية بسيطة. ومن أهم المخلفات والآثـار الـساكنة فـي مدينة نابلس:

1- مصلى آدم: ذكر ياقوت الحموي هذا المكان في نابلس بقوله: (بظـاهر نـابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه)([1])، وزار عبد الغني النابلسي هذا الموقـع أيضاً في رحلته إلى نابلس سنة1101هـ/ 1690م فقال: (وزرنا مصلى آدم عليـه السلام)([2]). إلا أن النابلسيين اليوم لا يعرفون مكاناً بهذا الاسم لكن بعض الطـاعنين في السن يقولون: إن هذا المصلى يقع غربي قبور رجال العمـود إذ يعـرف ذلـك المرج بـ(كرم المصلى)، ولعل هذا التقليد وصل عن السامريين الذين يعتقدون بـأن آدم عليه السلام تعبد بعد نزوله من الجنة على جبل جرزيم([3]).

2- بئر يعقوب: وهو بئر ذات ماء عذب، يقع في الجنوب الشرقي من نابلس علـى تُخُم سهل بورين([4])، ويقع في أطراف المدينة في وسط السهل الذي يفصل بين جبلي جرزيم وعيبال شرقاً، وسمي بذلك نسبة إلى النبي يعقوب عليه السلام الذي شـرب من البئر هو وبنوه ومواشيه، ويعتقد أن الذي حفر هذا البئر هو النبي يعقوب عليـه السلام عندما جاء إلى شكيم، ويبلغ عمقه40 متراً، وعند هذا البئر التقـى المـسيح بالمرأة السامرية، وكان قد غادر بيت المقدس إلى الجليل عن طريق السامرة حيـث كان المسيح متعباً فجلس إلى جانب البئر، وعندئذ جاءت امرأة سامرية لتستقي فطلب منها أن تعطيه ماء ليشرب فردت عليه: كيف تطلب مني ماء لتشرب وأنت يهـودي وأنا سامرية؟ حيث كان اليهود لا يتعاملون مع السامريين)، ولهذا يدعى البئر أيـضاً

([1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص248
([2]) عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، ص104
([3]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص232- 233
([4]) المرجع نفسه، ص279

ببئر السامرية([1])، وقد بنت الإمبراطورة هيلانـــة والـــدة الإمبراطـــور البيزنطـــي قسطنطين كنيسة كبيرة فوق هذا البئر في ق4م([2]).

3- آثار سبسطية: أسس القائد الإسرائيلي عمري بلدة السامرة ســنة880 ق.م ثــم سقطت بيد الآشوريين سنة721 ق.م حيث نفي أهلها إلى العــراق، وأســكن فيهــا عراقيين، ثم اعتنى بها الاسكندر وجعلها يونانية، ثم أهملت إلى أن عني بها بركادس الروماني سنة321 ق.م وأعاد بناءها باسم سبسطية، وما لبثت أن أصبحت مركــز أسقفية، ثم حولت كنيستها إلى جامع بعد الحروب الصليبية، ونقبت عن آثار سبسطية بعثة أثرية من جامعة هارفارد بالمشاركة مع جمعية التنقيب في فلسطين، والجامعــة العبرية، ومدرسة الآثار البريطانية في القدس، والمجمع البريطاني العلمــي، وبــدأ العمل قبل الحرب العالمية الأولى(1914- 1918م) ثم توقف العمل الى أن استؤنف في سنة1931م، وقد اكتشفت البعثة آثار هامة هي([3]):

أ- قصر عمري وآخاب(في القعدة)، وهو مثل قصور آشور، وسمي(بيت العاج) عندما وجد فيه العاج.

ب- هيكل رومي قديم، وقد كان مخصصاً للآلهة كورى معبود تلك المقاطعــة، وقد وجد لها تمثال جميل يحمل مشعلاً وسنابل ونقوشاً وقــد كتــب عليــه(الله رب الجميع عظيمة هي كورى التي لم تغلب).

ج- كنيسة يوحنا المعمدان، وحولها قبور المسيحيين في سبسطية، ووجدت فيهــا آثار فسيفساء.

د- السور الإسرائيلي القديم، على شكل نصف دائرة مع ثلاثة أبراج.

هـ- شارع الأعمدة.

و- المسرح (الفورم) الرومي.

([1]) مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس، ص103؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص179- 180؛ انظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص279- 280؛ انظر آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة، ص14

([2]) آمنة أبو حجر، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، ج2، ص900

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص197- 200

ز- هيكل أغسطس(في القعدة)، وهو على أعلى قمة من البلدة، وقد بناه ميردوس إكراماً لوليه أوغسطس، وقد وجد تمثال لأغسطس أمام هذا الهيكل.

ح- أقنية ماء رومية.

ط- ميدان الخيل، وهو محاط بأعمدة ذات تيجان كورنشية.

ي- في أسفل التل قبور رومية.

4- آثار أبيمالك: تقع هذه البلدة إلى الشمال الشرقي من قرية بلاطة في مدخل نابلس من جهة الشرق، فيها أنقاض سور وبوابة خلفها أنقاض كنعانية ترجع إلى نحو3500 ق.م، وقد نقبت عنها بعثة أثرية سنة1913م ثم توقف التنقيب بسبب قيام الحرب العالمية الأولى(1914- 1918م) ثم استؤنف التنقيب بعد الحرب، وفي سنة1958م جاءت بعثة أخرى ضخمة اكتشفت فيها سوراً فيه بوابتان شرقية وغربية جسدت أهم الآثار الكنعانية في فلسطين، وقد أسفر البحث عن العثور على بلدة صغيرة ضمن الأسوار والبوابات، هدمت وأحرقت مراراً، وهي البلدة التي أحرقها أبناء يعقوب بعد قتل أبيمالك وقومه لاعتدائه على أختهم، فقد وجد في هذه القرية آثار لقبور صغيرة، ومذابح صغيرة للبخور، ولوحات كنعانية عليها كتابة مسمارية، وبقايا قطع فخارية، واختلف في تسمية البلدة ثم رجحوا أنها بلدة ابيمالك التي استولى عليها أبناء يعقوب، وأصبحت في ملك بني يوسف([1]).

5- الحوانيت: يبلغ عدد حوانيت مدينة نابلس المئات، وهي قائمة في الجهة القديمة من المدينة على طريقين متوازيين بترتيب وهي مطلية من داخلها بالكلس ويغلب أن تكون أبوابها من تراب وأغطيتها من خشب، وقد كتب عليها أسماء أصحابها في تعليق على البلور، وأضيف على جميع هذه كلمة عثماني([2]).

6- أماكن الأعلام: كانت الأعلام والإشارات التي تعطى في السابق للإخبار عن زحف جيش معتدٍ أو لطلب النجدة تتم عن طريق إشعال النار ليلاً وبالدخان نهاراً من أماكن مرتفعة، وكان يقوم عليها أشخاص دائمو السهر، وكان العريف يلقب (شيخ)، وفي نابلس الكثير من بقايا هذه الأماكن التي كان الناس ولا زالوا يظنون

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص191

([2]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص83

خطأ بأنها مقامات للمتصوفين، وتوجد في القسم الشمالي من نابلس، وهي غرفتان متلاصقتان للشيخ وتابعه وللمؤونة. أما الأماكن الجنوبية عبارة عن غرفتان فوق بعضهما العلوية لنوم الشيخ والسفلية لحاجياته، ويصعد إلى سطح البنائين بدرج، ويحيط بكل بناء سور ضمنه غرف للجنود والعلف والخيول، ومن هذه الأماكن([1]):

أ- العرمة في قريتي بيتا وعقربا وهي قلعة لها طريق معبد تعبيداً رومانياً.

ب- رأس صرطبة: في غور نابلس، وهي قلعة رومانية.

ج- الشيخ غانم البوريني: يقع فوق قمة جرزيم، ويرى من نابلس، وقرى سهل عسكر والى جانبه قلعة رومية، وهو غرفة فوق أخرى، والشيخ غانم من رجال صلاح الدين، وقد عهد إليه أمر المحافظة على القلعة فسمي المركز باسمه، وأصله من قرية بورين، وقد تولى هو وذريته الخانقاة(التكية الصلاحية) في القدس، وعرفت ذريته بالغوانم، ومنهم آل السروري، ثم تولاها آل العلمي بعد نزوحهم من المغرب.

د- الشيخ بلال: وهو على قمة تطل على وادي الباذان وسهل عسكر(مرج البها)، ويرى من ياصيد وطلوزة.

هـ- أبو يزيد: وبعضهم يسميه القبيبات، ويقال إن صلاح الدين كان يصيّف فيها، تقع على قمة فوق برقة لجهة الشرق الجنوبي، وهي غرفتان داخل بعضهما، وفي أحداهما محراب، والى جانب الجهة الغربية غرفة صغيرة تحتوي خزان ماء.

و- الشيخ شعلة: يقع على قمة بين أجنسنيا والناقورة، وقد بقيت منه غرفة فيها محراب وقوس، ويوجد في الساحة الأمامية بعض القبور.

ز- الشيخ حريش: على قمة بين جبع وميثلون، وهو عبارة عن غرفة فيها قبر، والى جانبها غرفة أخرى لجهة الغرب، وتوجد أمامها ساحة صغيرة مسورة، ويوجد فيها بئر ماء.

ح- أبو الشعر: بين عنزة والزاوية.

ط- عبد الحميد أبو الزاد: وتقع بين اسكاكة وياسوف.

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص200- 203

ي- الشيخ سلمان: يقع على قمة بين بورين وعوريف، وهو غرفة فوق أخـــرى وفي الغرفة العلوية محراب، وأمامها بئر ماء، وحوله أنقاض غرف متعددة، وحوله أشجار من البلوط.

ك- علم الهدى: يقع إلى الشمال من زيتا وجماعين، وهو غرفة فـــوق أخـــرى، وحولهما أنقاض غرف وسور وأشجار حرجية من البطم والبلوط.

ل- أبو الجود: يقع شرق فرعته، ولم يبقَ منه إلا غرفة واحدة.

م- طاروجة: أي طار وجاء، وهي أنقاض قلعة للأعلام فـــسيحة تـــزرع فيهـــا الكروم، وعلى القمة المقابلة يوجد مقام سعيد بن المسيب، والى الشرق علـــى قمـــة أخرى يوجد مقام ابن عوف

ن- برج طوباس: يقع قرب مخيم الفارعة.

7- الآثار الرومانية: من الآثار الرومانية في مدينة نابلس قلعة طور زيتا(جـــرزيم) ولم يبقَ إلا أساسها وأنقاضها، وتوجد في نابلس أيضا القناة الرومانية الممتـــدة مـــن سفح الجبل حتى البساتين، وعليها آبار متقابلة مختلفة في أعماقها يبعد الواحد عـــن الآخر200 متر تقريباً، والقناة مغطاة بعقد انبوبي، ومن الآثار الرومانية قلعة الـــدير وهي تقع بين قريتي كفر الديك ودير بلوط، ولا تزال فيها برك وأحجار ماثلة الـــى اليوم([1])، وفي قرية دوما توجد بقايا كنيسة وأعمدة وقواعد أعمدة، وأرض مرصوفة بالفسيفساء، ومدافن منقورة في الصخر، وصهاريج([2]).

5 .5 العادات والتقاليد

تجسدت في مدينة نابلس جملة من العادات والتقاليد التي ما برح النابلسيين يطبقونها في كل مناسبة وموطن يناسب هذه العادة أو تلك، واختصت نابلس بعادات وتقاليد معينة مما جعل غيرهم إذا رأوا أو شاهدوا عادةً أو تقليداً معيناً خاص بمدينة نابلس نسبوه لها، وهذا ما كان يميز المدن الشامية فقد اختصت كل مدينة بأنواع من العادات والتقاليد التي أصبحت رمزاً لهذه المدينة أو تلك.

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج4، ص183- 185؛ انظر لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص195

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص330

وصف المقدسي أهل نابلس بقوله: (ولا ألبق من أهل فسا ونابلس)([1]) حيث تتشابه عادات وتقاليد نابلس مع غيرها من البلاد العربية، وبخاصة بلاد الشام في حيثيات الزواج والأعياد والأفراح والمأكل والمشرب وغيرها علاوة على ذلك فقد اتصف سكان نابلس باللين واللباقة والمحبة والأُلفة([2]).

وكان للسان النابلسي لهجته الخاصة التي ميزت النابلسي عن غيره من سكان المدن الفلسطينية والشامية إذ يتكلم النابلسيون العربية العامية([3])، ولهجة نابلس هي إحدى اللهجات العربية التي لا تزال ماثلة حتى هذه الأيام، إذ يغلب على اللهجة النابلسية الإمالة والمط مضافاً إليها مصطلحات ومفردات خاصة بها، ولعل الضمائر الشخصية العامية هي مفاتيح لهذه اللهجة، ومن هذه الضمائر: أني، إنتيه، هوّه، هنّه، إحنه، إنتو، وغيرها فهي تلفظ لفظاً خاصاً لا يكاد يلفظه إلا أهل مدينة نابلس العريقون، أو بمعنى آخر سكان الأحياء الشعبية المحافظون على اللهجة وأصالتها([4]).

والمدقق في المفردات والمصطلحات المستعملة في اللهجة النابلسية واللهجات في بلاد الشام يجدها فصيحة، وذلك لعروبة السكان، وشيوع التعليم بينهم فمن قول النابلسيين(الله ما يتيرك) أي ان الله لن ينقصك، ولكنها حرفت بلهجة الإمالة([5]) حيث يلتزم النابلسيون بالإمالة، ومد نهاية الكلمة، وإظهار حرف القاف، ويضيفون حرف الشين في أواخر الأفعال المنفية، وهذا الحرف مخفف من كلمة(شيء) فمثلاً يقولون: (ما قُلتوش) عوضاً عن قولهم:(ما قلت شيء)، ويُحس بتكرر حرف الشين بصورة ظاهرة([6]).

وفي لهجة نابلس إختزال فصيح كقولهم: (ليش) بدلاً من (لأي شيء)، وقولهم: (آخر اشمقل) أي (آخر شيء ما قلت)([7])، وقولهم: (تمعلق) من (تعال كل

([1]) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص34
([2]) إحسان النمر، المختار، ص6
([3]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص129
([4]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص187
([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص10
([6]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، 129
([7]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص12

معلاق)، وهي الأكلة التي تصنع في السوق، ولا يحسن صنعها في البيوت سوى البعض القليل فيضطر بعض الخواص إلى نقل صانعها بعدته إلى بيوتهم([1]).

وقد استخدم النابلسيون أسلوب الاختصار في ايصال الفكرة أو المعلومة، ومثال ذلك إذا خرجت البيضة طرية القشرة قالوا عنها:(بيضة خداجة)، وإذا لمس الطفل شيئاً غير حسن، وأُريد تنفيره قيل له: (كخ كخ)، ويقولون لمن يمشي على ركبه: (يحبي)، ويقول النابلسيون أيضاً لمن يتراجع عن الشيء بعد إقدام:(كع)، ويستخدم في اللهجة النابلسية أسلوب إبدال الكلمة أو المصطلح بغيره فإذا خمدت النار يقولون: (همدت)، ويقولون للصهر: (نسيب)، ويقولون عن الأمعاء: (مصران)، ويقولون لمن يأخذ الشيء دون إذن (لغفه لغفاً). أما المنتقد في اللهجة النابلسية فهو إدخال الباء على المضارع إذ يقولون: (بشرب، بأكل، بمشي) بدلاً من (أشرب، أكل، أمشي)، ومن المآخذ على اللهجة النابلسية أيضاً تبديل الثاء تاء بقولهم:(الاتنين والتلاتا) بدلاً من(الاثنين والثلاثاء). أما القرويون فإنهم يلفظونها ثاء فهم أفصح من أهل المدينة لولا أنهم يلفظون القاف كاف فيقولون: (كال ويكول) بدلاً من(قال ويقول)، ويقلبون الجيم زاياً كقولهم: (الفزل والززر) بدلاً من(الفجل والجزر)([2]).

راج في مدينة نابلس عدة أمثال عكست الفكرة العقلية واللهجة النابلسية منها: الغرض مرض، الدهر دولاب، الحب بلا، العيال سوس المال، الشر من شراره، تعب الحر مر، المعروف صيد، خبي الدرهم الأبيض لليوم الأسود، عليك بالجار ولو جار، الصلح سيد الأحكام، عز نفسك تجدها، الرجال محاضر مش مناظر، نَفَس الرجال بحيي الرجال([3])، المنازل إن أعطوها لغير أهلها ذلت، الحي مالوش قاتل، اللي بفعل ما بقول واللي بقول ما بفعل، عليك بوطاية النفس يا طالب العلا، أي أن العلا رهين التواضع([4])، وعندما ظهر السلاح الناري سقطت قيمة السلاح الأبيض فقال النابلسيون: البارود أبطل المراجل، وأصبح شيخ القبيلة أو

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص557
([2]) المرجع نفسه، ص11- 12
([3]) المرجع نفسه، ص13
([4]) المرجع نفسه، ص562

العشيرة يجمع رجاله، ويكسر سيفه ويقول لهم: (اشتروا بنـــدق مـــا عـــاد للـــسيف أصيال)([1]).

ويستشف من العادات والتقاليد السائدة في مدينة نابلس، أنها تقسم الى:

أ- **الأعياد والمناسبات الدينية:** اعتاد النابلسيون على إحياء العديــد مــن الأعيــاد والمناسبات الدينية بطرق خاصة تعكس مدى اهتمام سكان المدينة بهــذه المناســبة الدينية، ومن هذه الأعياد والمناسبات الدينية ما يلي:

1- عيد الفطر وعيد الأضحى (الصغير والكبير): وللعيدين طابع خاص يتمثــل في صلاة العيد في الصباح الباكر إذ تغص الجوامع بالمصلين، ثم يتجه النابلــسيون إلى زيارة المقابر بعد الصلاة مباشرة على الرغم من عدم وجود نص شرعي علــى ذلك إلا أن هذه عادة وتقليد اعتاد النابلسيون عليه، ثم يتجه الرجال للبيــوت لزيــارة الأقارب والأصدقاء، وللعيدين موائدهما الخاصة ومآكلهما وحلوياتهما الخاصة([2]).

2- رأس السنة الهجرية: حيث يولم النابلسيون الولائم في اليــوم الأخيــر مــن السنة، وبعد العصر يزينون أبواب البيوت بأغصان الزيتــون والليمــون والرمــان الخضراء لاستقبال السنة الجديدة بالخضرة، وفي اليوم التالي يلبسون أفخر الثيــاب، ويطوفون على أرحامهم ليقدموا لهم الهدايا([3]).

3- المولد النبوي: بعد ظهر 11 من ربيع الأول من كل سنة كانت أسواق نابلس تزدان بالسجاد والبقج والأقمشة وأشرطة الورق الملون، وتنــار بأفــضل الأنــوار، وتزين الدكاكين، ويحضر النابلسيون من بيوتهم المشربيات والثريــات والمرشــات، ويجلسون بعد الغروب لاستقبال الزائرين المباركين المولد النبوي الشريف، فيقدمون لهم المُلبَّس والشراب والحلويات في الأسواق جميعها، وبخاصة سوق السلطان(سوق التجار)، وتبقى الزينة إلى ظهر اليوم التالي إذ يتوافد النابلسيون الى الجوامع لسماع قصة المولد النبوي، وفي ذلك اليوم يولمون في بيوتهم ويتزاورون، وكان هذا اليــوم وليلته من أجمل وأبهى ما يرى النابلسيون لان نابلس المحصورة في الأسوار كانت

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص71- 72
([2]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص191
([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص325

كل شوارعها تزدان بأبهى زينة، وتزدحم بالناس في الليل النهار، وما تـزال هـذه العادة شاخصة ومتبعة إلى وقتنا الحاضر عند كثير من أهل نابلس([1]).

وصف الرحالة النابلسي عبد الغني أثناء زيارته لنابلس سـنة1101هـ/ 1690م أحد الموالد النبوية فقال: (وجاء إلى مجلسنا الشيخ الصالح والناجح الفالح الشيخ منصور رئيس من يقرأ مواليد الرسول صلى الله عليه وسلم في مدينة نـابلس المحروسة، وطلب منا أن نعمل له من الموشح عروض قول القايـل فـي المـديح النبوي:

يا رسول الله يا خير البرية　　　يا شفيع الخلق أنوارك مضية

فعملنا على البديهة قولنا من النظام في هذا المقام:

محمد المختار محمود السجية　　　ألـف تسـليمٍ عليه وتحية)([2]).

4- ليالي رمضان: كان النابلسيون يستعدون لرمضان قبل شهرين أو أكثر مـن قدومه، ويجهِّزون المنزل بكل ما يحتاجه، وفي الليلة الأولـى يطوفـون علـى دور الفاقدين أحد أقاربهم فيواسونهم، وفي الليـالي التاليـة يطوفـون علـى الـدواوين، والمجالس التي تبقى عامرة حتى وقت السحور، حتى يسمع المؤذنون على المـآذن، ثم يتسحرون وينزلون الى الجوامع للصلاة، وفي كل ليلة بعد الإفطار ينـزل الأولاد ومعهم الفنيار، وهو قنديل من الورق فيه شمعة يطوى ويفتح، ويسيرون بمديح تبدأه إحدى الفتيات منذ الاجتماع([3])، وهو مديح متوارث كالتالي:

عالسوق نازل　　فيرددن الباقيات قائلات　　يا نازل

تحت المنازل　　　　يا نازل

عالسوق اطعمني　　　　إكنـافة

عالسوق اطعمني　　　　بقـلاوة

وهكذا تعدد المبيعات واحدة تلو الاخرى، فإذا وصلن الى السوق صـاحت المادحة بأعلى صوتها وبلهفة:

يا بنياتي يا بنياتي　　فيرددن عليها　　نعم يمو نعم يمو

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص326

([2]) عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، ص106

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص327

بزوجكن بزوجكن	لمن يمو لمن يمو
للقضماني للقضماني	ما منريده ما منريده

وهكذا كلما مررن على بائع إلى أن يصلن إلى دكان بائع القطايف والكنافة فتصبح مجددة النغم دفعاً واحداً

عمي شاهين	فيرددن عليها	هويا
شاهين ما مات		هويا
خلف بنات		هويا
بناته سود		هويا
زي العبيد		هويا

وشاهين هو القرا شاهين كان أول من بدع القطايف، ودرج ذكره في هذه المدائح، ويظهر أنه ابن زنجية أو أنه كان متزوجاً زنجية فكانت بناته سود البشرة، وكانت الفتيات يستمررن بالمديح إلى أن يرجعن إلى منازلهن محملات بأنواع من المكسرات([1]).

5- ليلة الإسراء والمعراج أو القدر: وفي ليلة الإسراء التي تصادف ليلة27 من رجب من كل سنة يجتمع النابلسيون في الزوايا والجوامع، وفي أماكن معروفة للإحتفال بهذه المناسبة، وتروى قصة الإسراء والمعراج بين صلاة المغرب والعشاء في الجوامع، وتنار المآذن في الليل، ويزور النابلسيون الأموات في النهار، ويولمون، ويحيون الليل ليروا انفراج السماء عن الأنوار([2])، وجرت العادة أن يخرج القائمون على الجامع الحنبلي الشعرات المحمدية، وهي شعرات النبي محمد، صلى الله عليه وسلم بعد صلاتي الظهر والعصر ليتبرك المصلُّون بها([3]).

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص327- 328

([2]) المرجع نفسه، ص326

([3]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص191

6- يوم عاشوراء(البحبحة): في اليومين9 و10 من محرم ينفق الرجل على أسرته بسِعة، ويخرج النابلسيون إلى قبل طلوع الشمس ليزوروا مقامات الأولياء([1])، وكانوا يحضرون لهذه المناسبة حلوى تسمى(عاشورة)([2]).

7- الشعبانية وليلة الشعلة: في أول شعبان يدعو النابلسيون بناتهم وأخواتهم المتزوجات للضيافة ثلاثة أيام، ويقدمون لهن الطعام، وتسمى هذه الأيام الشعبونية، وفي ليلة النصف من شعبان تقرأ قصة ودعاء، وتسمى ليلة الشعلة، ويذهبون الى دور بناتهم وأخواتهم وأرحامهم المتزوجات، ويقدمون لهن الهدايا، وتعتبر هذه العادة من مستلزمات صلة الرحم الإسلامية([3]).

8- موسم النبي صالح وموسم النبي موسى: شارك النابلسيون بقية المدن الفلسطينية الأخرى في إحياء موسم النبي صالح(في مدينة الرملة) وموسم النبي موسى رضي الله عنهما، وهي عادة استقرت منذ أيام الحروب الصليبية، إذ كان يخرج من نابلس من يحمل علماً يسمى علم النبي موسى، ويلتف حوله شبان البلد ورجالهم القادرين، ويلتقون في القدس بالعلم الخليلي والقدسي، ويخرج الجميع بصحبة مفتي القدس إلى مقام النبي موسى حيث يقضون في ضيافته وقتاً ينفق فيه عليهم من أوقافه، ويصادف هذا الموسم وقت أعياد النصارى في الربيع([4]).

9- حفلات الحجاج: كان السفر لأداء فريضة الحج من أشق الأمور وأخطرها فكان يستغرق فترة4- 7 أشهر، ويزداد شوق الأهل والأقارب والأصدقاء لرجوع الحجاج حيث يتم وداع الحاج من بيته، وعند رجوعه ينزل في ضيافة أحد أقاربه أو أصدقائه لمدة ثلاثة أيام، وخلال ذلك ترسل الهدايا الى بيت الحاج، وينزل أصحابها في بيت الحاج، ويتوافد الناس للسلام على الحاج في بيت مضيفه ثلاثة أيام ويتناوبون دعوته للولائم، وبعد اليوم الثالث يعود الحاج لبيته، ويوزع الهدايا على الأقارب والجيران والأصدقاء من سُبَحٍ وتمر وخواتم وغيرها([5]).

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص325- 326
([2]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص190
([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص326- 327
([4]) المرجع نفسه، ص330
([5]) المرجع نفسه، ص321- 322

10- حفلة ختم القرآن الكريم: وهي عادة كانت سائدة في نابلس حتى بداية الخمسينات من ق20م ثم اندثرت، فقد كان تلاميذ المدارس يختمون القرآن الكريم في الصف السادس، ويجرى لهم احتفال كبير في كل مدرسة، وكان يجهَّز لخاتم القرآن الكريم كرسي مزين بالحرير والورود، وفي وسطه القرآن الكريم يسمى الختامة ويطاف به في طرق المدينة، وحينما ينهي خاتم القرآن الطواف يوزع على الناس أنواعاً من الحلويات والمكسرات والناس يرددون له(مبروك يا خاتم)([1]).

11- الفقدة: وهي مشتريات ومؤن متنوعة تهدى للأقارب في ليالي رمضان والأعياد والمناسبات، مثل فقدة الزلابية وفقدة الحلاوة القرعية، ثم تحولت فقدة العروس إلى مصاغ أو نقد أو حاجات منزلية([2]).

كان من عادة مدينة نابلس إحياء هذه المناسبات الدينية والأعياد من قِبل الفرق الدينية الخاصة بالزوايا، والتي يطلق عليها النابلسيون اسم(العدة)، والمتكونة من مجموعة من الرجال المنتمين إلى الزاوية، وهم يحملون الأعلام الدينية والسيوف والطبول والصاجات([3]).

ب- عادات وتقاليد الزواج والأفراح: من العادات التي كانت راسخة في نابلس عادات وتقاليد الزواج فقد اختصت نابلس عن سواها في طرق اختيار الزوجة، وما يتبع ذلك من ترتيبات إلى أن يحصل القِران بين الزوج والزوجة، ومن الملفت للنظر المصطلحات التي كانت -ولا زالت- تستعمل في عادات وتقاليد الزواج والأفراح عند النابلسيين، وفيما يلي أهم إجراءات الزواج، مرتبة حسب الخطوات المتبعة في العادات والتقاليد([4]):

1- الطُلبة: وهي طلب الأهل للفتاة، وفي العادة تلعب النساء الدور الأساسي فيها فبوساطتهن يتم تحديد موعد الجاهة وعددها، والجدير ذكره أن الحمامات لعبت دوراً

([1]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص192

([2]) المرجع نفسه، ص192

([3]) المرجع نفسه، ص191

([4]) المرجع نفسه، ص193؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص108- 109؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص315-320

في عملية التعرف على العروس والاطلاع على صفاتها وبخاصة الجسدية منها، وكان للداية(القابلة) دور هي الأخرى. أما الخاطبة فهي وظيفة لم تنتشر في نابلس.

2- الجاهة: وهي عادة تشترك فيها أكثر من بلدة فلسطينية، وما زالت هذه العادة القديمة المتجددة إحدى خطوات الأعراس الرئيسة، وتقدم فيها القهوة التي لا تشرب إلا بعد الموافقة على الطلب، وتتلوها قراءة الفاتحة ثم تقديم الحلوى دلالة على القبول، وفي بعض الأحيان يتم عقد القران بحضور المأذون المرافق للجاهة.

3- الإملاك: هو عقد القران، وكان يتم عادةً بحضور الجاهة أو بعدها على يد المأذون الشرعي المعتمد من قبل المحكمة الشرعية، وفي نابلس يقام حفل لعقد القران يدعى إليه الحضور، وكان هذا الحفل يتم في العادة في منزل والد العريس.

4- الشوفة: وهي عبارة عن حفل نسائي يجري في العادة في بيت العروس، وسميت الشوفة لان العريس يرى عروسه لأول مرة، وفي هذا الحفل يقدم لها هدايا من الذهب تسمى(الشبكة).

5- الدخلة: وهي حفل ليلة الزفاف أي الزواج الفعلي، وانتقال العروس إلى بيت الزوجية.

6- الزفة: لقد اشتهرت الزفة النابلسية بين مدن الشام وراج صيتها، فقد أجرى الملك عبد الله الأول بن الحسين رحمه الله في عمان منافسة بين الشوام والنابلسيين في زفتهم، وكان ذلك في حفل زفاف الأمير طلال بن عبد الله فحكم الملك عبد الله بن الحسين للنابلسيين؛ لأن الشوام يكونون حلقة كبيرة وبأيديهم السيوف ويمدح المداح فيرددون عليه بحماسة دون تصفيق لأن السيوف بأيديهم. أما النابلسيون فيقفون صفين متقابلين يصحجون(يصفقون)، يركب المداح على أكتاف رجل فيمدح والسيف بيده فيركض وهو يحمله بين الصفين ويقول أهازيج حماسية جميلة، ورجال الصفين يردون عليه مع التصفيق الشديد فتحصل حماسة بالغة مع ما يصاحبها من(زغاريد) النساء من النوافذ ثم يسيرون مسافة أخرى بمدح حماسي آخر، ويردون عليه، ويكون العريس في آخر الصفين بين الاثنين، ووراءه وحوله أقاربه وأصدقاؤه. أما العروس فتستقبلها النساء بالأهازيج والزغاريد التي تشتمل على الثناء

على أهلها وزوجها([1])، وقد اشتهرت نـــابلس بالمواويـــل والأهـــازيج والـــصحجة والدبكة([2]) والتهاليل والأغاني([3]) في مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية والأفراح.

7- يتبع الزواج سلسلة من العادات منها: عادة وداع العروس من قبـــل أهلهـــا والمباركة، وردة الرجل وهي دعوة العروس وأهل زوجها إلى بيت أهـــل الزوجـــة حيث تقام لهم وليمة غداء([4]).

ج- عادات وتقاليد ترويحية وترفيهية: لقد كان النابلـــسيون يخرجـــون كـــرحلات تسمى(شطحات)، الى عدة مواقع منها موقع العراق الذي يعلو قليلاً عن البلدة، وفي جبل جرزيم في الجهة الجنوبية يوجد مغارة كبيرة طبيعية، وفـــي مـــدخل المغـــارة وعلى طرفها حفر صغيرة، والى جانبها أشجار التين والزيتون، وكـــان النابلـــسيون يخرجون غالباً مساء أيام الجمعة الى هذا المكان ويجلسون فيه على السطح المستوي أمام المغارة، وعلى مسافة قريبة من هذا الموقع يوجد سفح مـــستوٍ علـــى صـــخرة مرتفعة يسمى مائدة، وهي كرسي التطلع للنابلسيين، ولأن وسط الصخرة محفور فإن رؤية الصخرة ورؤية البلدة منظران ألطف من بعضهما، وفي ذلك يعتقد النابلـــسيين بخرافة أن الست سلمية وهي أحدى صالحات مصر عندما ماتـــت انتقـــل تابوتهـــا والتصق بهذه الصخرة، ويذهب النابلسيون إلى نبع يسمى كفير، ويجلـــسون تحـــت الشجرة الكبيرة هناك([5]).

ويوجد أيضاً منطقتين يخرج النساء إليهما تعرفان بالخلة الـــشرقية والخلـــة الغربية كل يوم إثنين وخميس ابتداءً من بعد صلاة الظهر حتى نهاية اليـــوم وتأخـــذ النساء معهن أطفالهن وطعامهن ويفترشن الأرض تحت الشجر، ولم تكـــن الجلـــسة

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص87

([2]) انظر أناشيد المواويل والأهازيج والصحجة والدبكة في مدينة نابلس عند إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص88- 89

([3]) انظر أناشيد التهاليل والأغاني في مدينة نابلس عند فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص131- 137

([4]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص193

([5]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص114- 115

تخلو من المرح والغناء إذ كانت هذه الشطحات أشبه بالأعياد([1])، وكانت تعقــد فــي نابلس مسابقات في مطاردة الخيل وألعاب السيف والترس([2]).

د- **عادات وتقاليد اجتماعية عامة ومتنوعة:** زخرت نــابلس بعاداتهــا وتقاليــدها العديدة والمتنوعة، التي شملت كافة مناحي الحياة ومجالاتها بحيــث تمــسَّك بهــذه العادات والتقاليد النابلسيون كافة بغض النظر عن طبقــاتهم الاجتماعيــة أو دخلهــم الاقتصادي، ومن جملة هذه العادات والتقاليد العامة:

1- استقبال الضيوف وتوديعهم: لقد كان النابلسيون يخرجون لاستقبال الــضيف من خارج المنزل ترحيباً بقدومه، وإذا كان الضيف ضيفاً على المدينة بأكملها مثــل عالم أو مفكر أو رحالة أو فقيه وكان أهل المدينة يخرجون جميعاً لاســتقباله، وقــد وصف الرحالة النابلسي عند قدومه إلى نابلس1101هــ/ 1690م الكيفيــة والهيئــة التي تم استقباله بها، فقال: (ثم ركبنا السروج وسرنا معهم على بركــة الله تعــالى، وقد خرجوا للقائنا بأجمعهم وأرفعهم وأوضعهم من كبير وصغير وهم يتلون أمامنــا البرأة الشريفية[هي مديح نبوي] بالنغمات اللطيفة مع الصلاة على الرسول والأدعية بالإجابة والقبول حتى دخلنا المدينة وقت الغروب. فنزلنا عن الركوب وقــد قرأنــا الفاتحة للجماعة وتفرقوا في ذلك الساعة)([3]).

كان في نابلس بيوت ضيافة تحت إشراف الحكومة، وهــي معــدة لمبيــت الغرباء من جنود وموظفين ومسافرين، وكل من انقطع من أبناء السبيل وهي التــي تسمى (الوكالات)([4]).

وتوديع الضيف يكون على منوال استقباله، وذلك بخروج جموع الأهــالي لتوديع الضيف، وهذا ما وثَّقه، ووصفه النابلسي عندما عزم على الرحيل عن مدينة نابلس لإكمال طريق رحلته فقال: (ثم عزمنا على المسير بمعونــة الــرب القــدير فتوجهنا وقد خرج لوداعنا جماعات كثيرون من أهل نابلس المحروسة بنفوس طيبــة وأخلاق مأنوسة... ومعهم راية الطريق وهم يتلون البردة الشريفة والــصلاة علــى

([1]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص192

([2]) فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص116

([3]) إحسان النمر، المختار، ص19

([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص355

رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الحضرة المنيفة إلى ان خرجوا إلى خـــارج البلاد ثم قرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى وتوجهنا على المعتاد)([1]).

2- الولادة: اعتاد النابلسيين أنه بمجرد أن يجيء المرأة المخاض يتنادى أقارب الحامل لحضور(الطلق) المخاض، وبمجرد الوضع يقدمون النقوطات(الهـــدايا) مـــن قطع ذهبية توضع على طاقية الولد، وتطبخ الكراوية المحـــلاة، وترســـل الهـــدايا، وتستمر المباركة بقدوم المولود الجديد ثلاثة أيام، ويكون اليوم الثالث(تفتيح العينـــين) فتحضر الداية(القابلة)، وتضرب بالهاون ضرباً متقطعاً ليفتح الطفل عينيـــه، ويتفـــق والداية على إقرار اسم له، وفي ذلك اليوم تذبح العقيقة ويدعى للوليمة جميـــع مـــن قدموا الهدايا([2])، ومن عادة النابلسيين السؤال عن جنس المولود بالعبارة التالية(سكرة ولا مفتاح) أي أنثى أم ذكر؟ وكغيرهم من المجتمعـــات الـــشرقية كـــانوا يفرحـــون بالمفتاح أكثر من فرحتهم بالسكرة([3]).

3- الخِتان: لم يحدد الدين الإسلامي سن الختان ولهذا كان الطفل يختن حـــسب الظروف، فإن مات أحد أقاربه أخروه، وإذا مات أبوه أُخر إلى أمد طويـــل، وحـــين يختن الطفل يحضر أقاربه الهدايا، ويولم أهل المولود وليمة، ويغنون للمختون غناء تقليدياً([4]).

4- المرض والمعافاة: كان المرض محكاً لطبيعة الحياة الاجتماعية وصحتها في نابلس فكانوا يتبارون في الهدايا والمساعدات، وإذا ما عوفي المريض أقيمت التهاني والأفراح والدعوات والولائم والسهرات كل حسب قدرته، وقد تتبع ذلك نذور إلـــى بعض المقامات، ويتخذونها وسيلة للنزهة فيذبحون هناك ويولمون ويغنون ويحتفلون ويمنعون الغرباء عنهم من الاقتراب لوجود النساء وقد يمكثـــون أكثـــر مـــن نهـــار فيبيتون هناك ليلة أو أكثر([5]).

([1]) عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، ص109

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص314

([3]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص194

([4]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص314- 315

([5]) المرجع نفسه، ج2، 322

5- المأتم: وهو الوفاة فإذا توفي أحد الأشخاص ذكراً كان أم أنثى فإن جميع ما مضى من حفلات توقف حالما يُعلم أن واحداً من الأقـــارب أو الجيـــران فـــي دور الاحتضار، فالمثل القائل(الفرح خطف) لذا فهم يسرعون في اســـتعدادات الأفـــراح وإنهائها لئلا يفاجئوا، وحالما تحدث الوفاة يأخذون أقارب الميت إلى إحـــدى الـــدور المجاورة ليقضوا فيها وقتاً حتى يتم تجهيز المتوفى([1])، وكان النابلـــسيون يـــضعون ثوب المرأة أو الرجل على النعش إلى أن ظهـــر الطربـــوش فـــصاروا يـــضعون الطربوش إذا كان المتوفى رجلاً ولا يضعون الطربوش إذا كان المتوفى امرأة([2]).

بعد إنهاء مراسيم الدفن ينزلون إلى بيت المتوفى أو الى بيت آخـــر لتقـــديم التعزية من3- 7 أيام يعمل خلالها الطعام لأهل المتوفى، ثم يكـــون خـــتم القـــرآن الكريم، ودعوة عشاء عند تمام أربعين يوماً على الوفاة، ثم يلي ذلك أخذ خاطر فـــي ليالي الأعياد والمواسم، ويتم ذلك في منزل المتوفى([3]).

6- أيام النيروز: في الانقلاب الربيعي الموافق ليوم22 مـــن شـــهر آذار مـــن الحساب الغريغوري، وفي اليوم التاسع من الحساب الشرقي يخرج النابلسيون قبـــل طلوع الشمس بساعة تقريبا إلى الحقول، ويتناولون الفطور ويستنشقون الهواء النقي ثلاثة أيام متواليات يسمونها (النورزة)([4]).

7- الخُمسان: ويقال له الخميس، وهي أسابيع الربيع الأولى يصنع فيها الفتـــوت والحلاوة القرعية وجميعها تقدم هدايا للعرائس والأرحام، وفـــي الخمـــيس طـــوال الأسابيع الأولى تجري الشطحات(الرحلات) بلا انقطاع في ســـفوح جبلـــي عيبـــال وجرزيم([5]).

8- المأكولات والحلويات: من المأكولات المميزة التي اشـــتهرت بهـــا نـــابلس كغيرها من مدن الشام(المقلوبة) المكونة من أرز مع اللحم والباذنجـــان أو الزهـــرة، و(المسلّوعة) وهي عدس وأرز، وهناك (المطفيِّة) وهي لبن وأرز وزهرة، وأحيانـــاً

([1]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص322؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص111- 113

([2]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص567

([3]) المرجع نفسه، ص322- 323

([4]) المرجع نفسه، ص331

([5]) المرجع نفسه، ص330

يضاف لها اللحم، و(اللخنة الخضراء النابلسية) المحشوة بالأرز واللحم، و(العكــوب باللبن) و(البطابط) وهي عبارة عن ورق اللخنة محشو بالبرغل، و(الرقاقة) وهي من رقائق عجين مع العدس([1]).

أما الحلويات فقد اشتهرت نابلس بالكنافة النابلــسية إلــى جانــب الجــبن والصابون، ويميل الدباغ إلى ان الكنافــة ظهــرت مــع القطــايف فــي العــصر المملوكي([2])، واشتهرت نابلس أيضاً بحلواء الخروب التي تصنع عن طريــق طــبخ الخروب ثم عصره وأخذ ما يخرج منه من الرُّب فيصنع منه الحلــواء([3])، وكــذلك اشتهرت نابلس بشرب القهوة البنية([4]).

9- الملابس: كان النابلسيون يلبسون القنباز في الصيف والسروال في الــشتاء، وحينما يركبون الخيل، وفي كلا الحالين كانوا يلبسون فوقهما تقصيرة(جاكت) بأكمام تسمى(الدامر)، ويرتدون مع السروال صدرية بأكمام يسمونها(المنتيــان)، ويلبــسون فوق التقصيرة معطفاً طويلاً مزركشاً يسمونه(البنش) وهو مــبطن بــالفراء، وكــان المعطف البلدي هو المدربة والعباءة الغليظة المسماة(البشت). أما غطاء الرأس فهي الطاقية (القلنسوة) ثم الكوفية والعقــال، وكــان ســكان المدينــة يــضعون عمــائم تسمى(شملات) من الشال الكشميري الثمين الذي يبلغ ثمن ذراعــه ذهبــة، وتبلــغ لفتها40 ذراعاً أي يوضع على رأسه40 ذهبة دلالة على البذخ والإسراف، في حين كان لباس النساء فضفاضاً فكُنَّ يلبسن سراويل كبيرة وطويلة جداً تربط على الــساق فوق جوزتين ويسمى(الشخشير)، ومن فوقه ثوب يسمى(سترى)([5]).

وفي خضم هذه العادات والتقاليد المتعددة والمتنوعة كان المجتمع النابلــسي محافظ على هذه العادات والتقاليد، ولم تسجل عليه أنه اضطهد المــرأة أو مــارس

([1]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص188؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص113- 114؛ انظر إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص299- 304

([2]) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج2، ص203

([3]) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، م1، ص254

([4]) عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، ص108

([5]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص305- 306

ضدها العنف، ويتجلى ذلك في المناسبات الدينية والاجتماعية([1]) فقد كانـت زيـارة الأرحام ضرورة ملحة عند أفراد كل عائلة مما حقق ترابط المجتمع.

وعلى الرغم من التزام المرأة النابلسية بالعمل داخل منزلها وقيامها بوجبات المنزل والزوج والأبناء إلا أنها شاركت بالعمل خارج المنزل، فقد شاركت النسـاء الرجال في أعمال الزراعة في الحقول، ففي حالة الرخاء والثراء كانت النساء تقمن بمهام إدارة الأمور المنزلية. أما في حالة العوز فقد كُنَّ يُقمن بـإدارة المـصروف البيتي باقتصاد وكفاءة، كما كانت النساء يُعِلنَّ أنفسهن وعائلاتهن بحياكـة وغـزل الملابس([2]).

بالإضافة إلى ذلك فقد تمرنت نساء نابلس على استعمال السلاح وتنظيفـه، وكان منهن من يجدن الرماية، وكان حجاب النابلسية معتدلاً ساتراً للعـورة، وكـان محظوراً عليها التنقل إلا بإذن، وقد قمن بدور هام في نابلس، إلا أن النساء اعتقـدن اعتقاداً باطلاً، وهو الترامي على قبور أصحاب المقامات والاستغاثة بهم ممـا يـدل على نوع من أنواع الشرك الخفي المتوارث، كما يستخدمن طاسة الرجفة، والحُجُب، والخرز، والتمائم التي كانت تستعملها النساء جهلاً باعتبارها إحدى العادات والتقاليد، وكان بعض النابلسيين يحرم المرأة النابلسية من الميراث، وإن أخذتـه فهـو قليـل منقوص عن الحق الشرعي، وفي القرى لم تحصل المرأة على حقوق فـي الـزواج ولا المهر أو الميراث إذ إن كثير منه كان يخضع لزواج البدل بدون مهر([3]).

([1]) لطفي زغلول، نابلس خصائص خصوصيات عادات تقاليد، ص194

([2])Donna Robison Divine, Politics And Society In Ottoman Palestine The Arab Struggle For Survival And Power, Lynne Rienner Publishers, 1994, Page 33

([3]) إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، ص332- 342؛ انظر فلسطين في نهاية العصر العثماني، تحقيق زهير غنايم وآخرون، ج1، ص110- 111